كم أحبك يا رسول الله ﷺ

دروس و فوائد و وصايا و عبرٌ و عظات

كتاب جمع بين السرد التاريخي للسيرة وبين استشعار المعايشة للأحداث،

كأنك تراها وتشاركها بأحاسيسك ومشاعرك .







الكتـــــــاب: كم أحبك يا رسول الله

المـؤلــــف: محمد القليعي.

رقـم الإيـداع: ٢٠٢٠/٣٣٣٦

الترقيـم الدولي: 978-977-6677-92-0

الإخـراج الفني: newtouch

دار الفتح للنشر والتوزيع (جمهورية مصر العربية)

(عرب الرمل - قويسنا - منوفية) ، (كفر الجزار - بنها - قليوبية)

00201154555818 00201022868004

دار الفتح للنشر والتوزيع info@darolfath.com

www.darolfath.com

التصميم والإخراج الفني

New Touch

advertising

Nagi Galal

(002)26 99 08 99 0101 203 2005

newtouch.eg@gmail.com



عَـنْ أَنَـسِ بْـنِ مَالِـكٍ رضي الله عنه قَـالَ: جَـاءَ رَجُـلٌ إِلَى رَسُـولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَـالَ: يَـا رَسُـولَ اللهِ مَـتَى السَّـاعَةُ؟ قَـالَ: «وَمَـا أَعْـدَدْتَ لِلسَّـاعَةِ؟» قَـالَ حُـبَّ اللهِ وَرَسُـولِهِ. قَـالَ «فَإِنَّـكَ مَـعَ مَـنْ أَحْبَبْـتَ».

قَـالَ أَنَـسٌ رضي الله عنه: فَمَـا فَرِحْنَـا بَعْـدَ الإِسْـلاَمِ فَرَحًـا أَشَـدَّ مِـنْ قَـوْلِ النَّـبِيِّ صلى الله عليه وسلم «فَإِنَّـكَ مَـعَ مَـنْ أَحْبَبْـتَ».

قَـالَ أَنَـسٌ رضي الله عنه: فَأَنَـا أُحِـبُّ اللهَ وَرَسُـولَهُ وَأَبَـا بَكْـرٍ وَعُمَـرَ، فَأَرْجُـو أَنْ أَكُـونَ مَعَهُـمْ وَإِنْ لَـمْ أَعْمَـلْ بِأَعْمَالِهِـمْ. [رواه البخـاري ومسـلم].





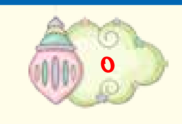
إلى كل قلبٍ أَحب نبيه واقتدا به .. أُهديكُم ..

رســـــالـة حب من قلبي للنبي ﷺ .



كيف لا أُحبك؟!

ولولا أن الله رحم العالم بك ما عرفنا طريق الجنة !



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بعث فينا رسوله بالهدى ودين الحق، معلمًا ومربِّيًّا وموجهًا ومرشدًا وقائدًا وأبًا وإمامًا وأستاذًا قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران:١٦٤].

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين صلوات ربي وتسليماته عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه أنوار مضيئة مقتبسة من حياة الحبيب ﷺ، أصلها ثابت كما في الأحاديث الصحيحة فيما جاء عند أهل السير وضعتها في صور مبسطة وألفاظ سهلة حتى يستوعب القارئ الصورة العظيمة لرسالة الحبيب فيعيش في ضمائرنا عظيمًا، وفي قلوبنا رحيمًا، وفي أبصارنا إمامًا وفي آذاننا مبشرًا ونذيرًا، وعلى الرغم

من أنها مختصرة فإن فيها غذاء للروح، وتثقيفًا للعقول وحياة للقلوب، وصفاء للنفوس.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا ومشاعرنا مع روائع الأخبار من سيرة المختار ﷺ فإننا في أشد الحاجة لمعرفة المنهاج النبوي في تربية الأمة وإقامة الدولة، وحتى نلتمس من هديه ﷺ الطريق الصحيح في دعوتنا والتمكين لديننا، ونقيم بنياننا على منهجية سليمة مستمدة أصولها وفروعها من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. فهو نعم القدوة والمثل، عاش حياته بين الحزن والفرح، والأمل والألم، فتراه يومًا يربط الحجر والحجرين على بطنه من شدة الجوع، ودخل عمربن الخطاب يومًا على الحبيب ﷺ فوجد الحصير قد أثر في جنبه الشريف، ومع ذلك كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، ورغم أنه تعرض ﷺ لكثير من الإيذاء على أيدي كفار مكة فقد لقي من قريش ما يشيب النواصي من نفور وقسوة وتصدى للدعوة فقد جبلوا على الجفوة والعناد فطردوه من مكة

وأخرجوه منها مع رغبته الصادقة في إبلاغهم الخير الذي يحمله إليهم، فلما دخل ﷺ مكة فاتحًا خفض رأسه متواضعًا وقال لهم: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].



عاش ﷺ في العسر واليسر، فقيرًا وغنيًا، محاربًا ومسالمًا ومعاهدًا، يستطيع أن يقتدي به القائد المحارب من خلال غزواته ﷺ كيف كانت أخلاقه في السلم والحرب، وعند النصر والهزيمة ؟ يستطيع أن يقتدي به القاضي وهو يقضي بين الخصوم ويفض النزاعات، يقتدي به المعلم فكان ﷺ يجلس مع أصحابه متواضعًا في المسجد يعلمهم دينهم، يقتدي به المتعلم وهو يتلقى ﷺ الوحى عن ربه، من جبريل، يقتدي به الزُّهاد ويدركون معنى الزهد وحقيقته ومقصده، ويتعلم المبتلون منه أسمى درجات الصبر والثبات، فتقوى عزائمهم على السير في طريق دعوة الإسلام وتعظيم ثقتهم بالله عز وجل ويوقنوا أن العاقبة للمتقين.

فسيرة الحبيب ﷺ زاد للدعاة في التعامل مع من يدعونهم، وهي زاد للقادة المصلحين، وزاد للمربين، وزاد للعامة والخاصة ..

وآمُل في النهاية أنكم حين تقرؤون هذه الصفحات ستشعرون بحقيقة ما أقول !!

فتعالوا بنا لنتعلم من نبينا ﷺ ونعلم أولادنا كيف نحيا بهديه ﷺ .

والله أسأل أن يحشرنا مع زمرة نبينا الكريم وأن يوردنا حوضه، وأن يسقينا منه شربة لا نظمأ بعدها أبدًا، هذا...

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .





مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده، وعلى آله وصحبه من بعده.. أما بعد:

فإن من نعم الله -تعالى- وتوفيقه أن نفدت الطبعة الأول والثانية من هذا الكتاب في وقت قصير جدًّا، وهذا من فضل الله وإحسانه.

وهذه الطبعة الثالثة قد صُحح فيها ما وُجد من أخطاء يسيرة، وأضيف للكتاب بعض الإضافات التي أغلبها من نصائح القراء، فجزى الله خيرًا كل من ساهم في نشره.

فهذا الكتاب محاولة للتعريف الموجز والعميق بسيرة الحبيب ﷺ، حتى نستطيع تحقيق العودة إلى تعاليمه المهجورة، والتمسك بهديه الذي ابتعدنا عنه في ديننا ودنيانا، مما جعل كثيرًا من المغرضين الضالين أن يتطاولون على نبينا الأمين.



للنصيحة:


alkulaie@gmail.com


002/01009264811





في البداية: هيا بنا نتقرب من الحبيب ﷺ أكثر وأكثر ونتعرف على نسبه فقد اختار الله تعالى رسوله ﷺ من أشرف القبائل، ومن أطهر الأصلاب وأنقاها، فهو خير أهل الأرض نسبًا وشرفًا إنه:

أَبُو القَاسِم مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعبِ بْنِ لؤَيِّ بْنِ غالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ [البخاري].

فهو خيار من خيار، كما قال ﷺ عن نسبه:

«إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» . [مسلم]

فهـو ﷺ مـن قريـش، وقريـش مـن العـرب، والعـرب مـن ذريـة إسـماعيل بـن إبراهيم عليـه وعلى نبينـا أفضـل الصلاة والسـلام.

أما أمه فـهي: آمنـة بنـت وهـب بـن عبـد منـاف بـن زهـرة بـن كلاب. وكلاب هـو الجـد الخامـس للحبيـب مـن جهـة أبيـه، فأبـوه وأمـه مـن أصـل واحـد، يجتمعـان في كلاب، واسـمه حكيـم لكنـه كان كثـير الصيـد بالـكلاب فعـرف بـه .

من هنا كانت البداية

كانـت **مكـة** بـلدة مباركـة فقـد أسسـها **الخليـل إبراهيـم** حينما خـرج بابنـه الصغير إسـماعيل وأمـه مـن مـصر وظـل سـائرًا بهمـا ليـلاً ونهـارًا حـتى وصلـوا إلي مـكان وسـط الصحـراء ليـس فيـه زرع ولا مـاء وتـرك الخليـل زوجتـه وابنـه الصغـير اسـماعيل في هـذا المـكان وانـصرف.

تركهما في رعاية الله وأمنه ولم يقل إن المكان صحراوي ليس فيه ماء... ولم يقل إن الوحوش يمكن أن تفترس الأم وطفلها...

لأنه يعلم أن الله يحفظ عباده ولذلك توجه إلي الله بهذا الدعاء: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧].

طلب إبراهيم عليه السلام من ربه أمرين:

1. **الأول:** أن يجذب الناس إلى هذا المكان ويعمروه.
2. **الثاني:** أن يرزقهم الله من الثمرات.

وقد استجاب الله دعاء **الخليل إبراهيم** فقد جذب الناس إلى هذا المكان حين عرفوا أن الماء نبع فيه من باطن الأرض وأصبح المكان عامرًا .

وكانت **مكة** أول قرية أُنشئت في هذا الوادي فسُمِّيت **بأم القرى**.

أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ

قبل ما يزيد عن أربعة عشر قرنًا من الزمان كان العالم كله مظلم يترقب حدثًا عظيمًا أوشك على الوقوع، لقد ظهرت علامات ملأت بشائرها الكون كله، نعم اقترب مجيئ من يخرجهم من الظلمات إلى النور.

أتدرون ماذا حدث ؟

تحققت بعد آلاف السنين دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام التي كان يدعوا بها وهو يرفع قواعد الكعبة المشرفة، ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

لقد ولد نبي آخر الزمان، قال رسول الله ﷺ : "أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ".

فجزى الله خليل الرحمن خيرًا على دعوته .



مولد الحبيب ﷺ

ولد الحبيب ﷺ يتيمًا فقد توفي أبوه عبد الله والنبي ﷺ مازال في بطن أمه وهذا من أعلى درجات اليتم، أن يتوفى الأب قبل أن يراه ابنه[١] ولم تأنس عيناه برؤيته.

ولد الحبيب ﷺ ولما ولدته أمه أمنة بنت وهب رأت كأنها خرج منها نور أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشام.

ولما أخبر جده عبد المطلب بمولده بكى...

فلماذا كان بكاؤه؟

هل كان يبكي من شدة الفرح؟

أم كان يبكي لبعض الذكريات الأليمة؟

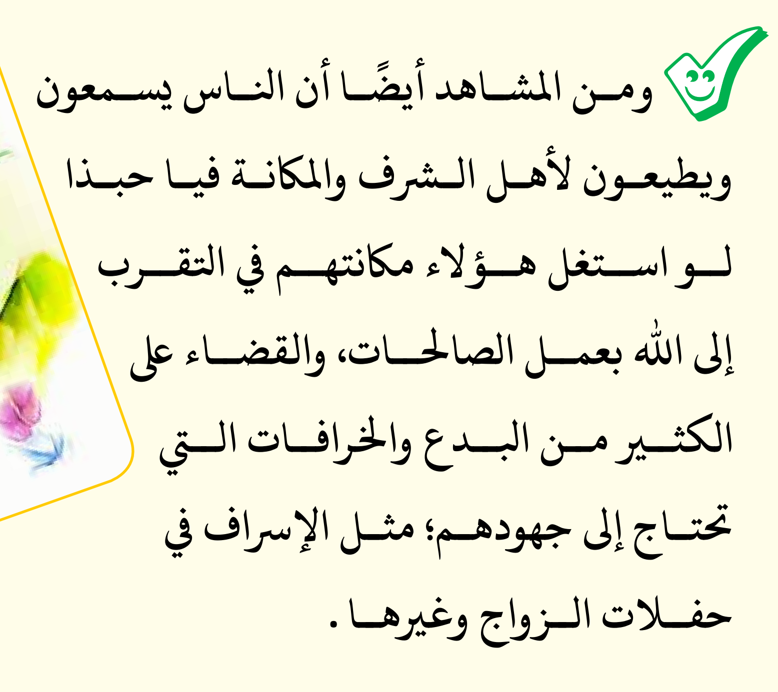
لعله كان يبكي للأمرين من شدة الفرح لمولد الغلام ولبعض الذكريات الحزينة فقد توفي ابنه عبد الله في ريعان شبابه ودفن خارج مكة. وترك امرأته آمنة وهي حامل.

---

(١) حيث سافر أبوه عبد الله إلي فلسطين للتجارة وفي طريق عودته مرض فنزل عند أخواله من بني عدي بن النجار فمات عندهم بالمدينة المنورة

ويمكن لنا من خلال التعرف على نسب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نستخلص بعض المعاني والعبر ومنها:

- أن الإسـلام لا يفاضـل بـين النـاس حسـب أنسـابهم، ولكـن ممـا لا شـك أن الداعيـة والمصلـح إن كان شريفًـا في قومـه؛ فـإن النـاس يسـمعون له أكـثر مـن غـيره، ويكـون تأثـيره فيهـم أكـبر.



- ومـن المشـاهد أيضًـا أن النـاس يسـمعون ويطيعـون لأهـل الشرف والمكانـة فيـا حبـذا لـو اسـتغل هـؤلاء مكانتهـم في التقـرب إلى الله بعمـل الصالحـات، والقضـاء على الكثـير مـن البـدع والخرافـات الـتي تحتـاج إلى جهودهـم؛ مثـل الإسراف في حفـلات الـزواج وغيرهـا.





ولد الحبيب ﷺ بمكة وكان من عادة العرب في هذا الزمان أنه إذا ولد لهم غلام أرسلوه إلي البادية في بطون الصحراء، فإن العيش في البادية يكسب الأطفال:











- وحتى يعتمد على نفسه بعيدًا عن تدليل الأقارب وتهاونهم أحيانًا، لذلك أرسلوا الحبيب ﷺ للعيش في البادية مع حليمة السعدية مرضعة بني سعد، انظروا إلى الفطرة السوية عند العرب في اهتمامهم بأبنائهم.

عاش الحبيب في البادية وأرضعته حليمة السعدية عامين ولما رأت ما قد نزل عليها من الخير والبركة من وجود هذا الغلام الصغير في بيتها طلبت من أمه أن يعيش معها

---

(١) وكان أول من أرضعه ﷺ أمه آمنة، ثم ثويبة مولاة أبي لهب وأرضعت معه حمزة بن عبد المطلب، ثم أرضعته بعد ذلك حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية من بني سعد بن بكر.



أكثر من ذلك بحجة أنها تخشي عليه من وباء مكة.

وترددت **السيدة آمنة** في القبول، ولكنها تماسكتْ واحتملتْ فراق ابنها الحبيب تحقيقًا لمصلحته وحرصًا على صحته.

عادت **حليمة السعدية** بالنبي ﷺ فعاش معها أربعة أعوام وفي يوم من الأيام والنبي ﷺ صغير جالس مع الصبيان، هرول الصبيان إلي **حليمة السعدية** يصيحون ويصرخون أماه أماااه لقد أتى رجلان وأخذا محمدًا ثم أضجعاه[(١)] وشقَّا صدره، لم يعلموا أن الرجلين من الملائكة، وفيهما جبريل أرسله رب العالمين إلي النبي الأمين ﷺ ليستخرج من قلبه حظ الشيطان.

وليست عملية شق الصدر استئصالًا لغدَّةٍ من الغدد في داخل الجسم أو قطعة لحم تُقْطَعُ من داخل الجسم فيصبح بذلك خيرًا، وإلا لأمكن استبعاد الشر واستئصاله بعملية جراحية.. كلا، وإنما هي عملية تطهير معنوي أخذت الصورة المادية والشكل المحسوس، ليكون في ذلك مزيد بيان وإيضاح، وإعلان على مرأى ومسمع من الناس، ليؤمنوا به، ويصدقوه.

---

(١) جعلاه ينام على ظهره.

ومـا ذلـك إلا بقـدرة الله العزيـز الحكيـم، فالقصـة ثابتـة صحيحـة، ولكـن إدراك حقيقتهـا وكيفيتهـا لا يعلمهـا إلا الله ومـن شـاء مـن خلقـه.

ولمـا سـمعت حليمـة السـعدية بمـا حـدث فزعـت وخافـت فـهي مسـئولة عـن هـذا الغـلام، فأرسـلته إلي أحضـان أمـه ليعيـش معهـا.



ولما بلـغ الحبيـب ﷺ السادسـة مـن عمـره الشريـف أرادت أمـه أن تأخذه لزيـارة قبر والده الذي لـم يـره وزيـارة أخـواله من بني النجـار في يـثرب (المدينة) واسـتأذنت من جده عبـد المطلـب الذي كان لا يطيـق فراقـه أبدًا، فذهب النـبي ﷺ وهو صغير مـع أمه ومعهما أم أيمـن خادمـة أم النـبي ﷺ ولمـا وصلـوا يـثرب ورآه أخـواله فرحـوا بـه فرحًا شـديدًا ولم يأذنـوا لأمـه بالعـوة إلا بعـد إلحاحٍ شـديد فمكـث عند أخواله شـهرًا.

أسرعـت أم النـبي ﷺ بالعـودة إلي مكـة بابنهـا الصغـير، وفي منتصـف الطريـق وبينمـا هي عائـدة وبالتحديـد لمـا وصلـت الأبـواء [(١)] أحسـت بـآلام شـديدة أوقفتهـا عـن المسـير.

---

(١) الأبواء: مكان بين مكة والمدينة .

اشتد المرض بأم النبي ﷺ ولعلها أخذت تتوجع من شدة الآلام، والنبي ﷺ ينظر إلي أمه المريضة وهي تتألم ويشتد بها الوجع ولعلها كانت تحاول أن تكتم آثار الآلام حتى لا يراها ابنها الصغير وهي في هذه الحالة، ولكن لم يكن في الصحراء شيء يحجب رؤية النبي ﷺ عن أمه وهي في الأنفاس الأخيرة، وتموت أمه أمام عينيه، وأمر صعب أن يرى طفل صغير أمه وهي تموت أمام عينيه وأم أيمن لا تدري ماذا تفعل فلم تستطع الرجوع بها إلي المدينة ولا حملها إلي مكة، فماذا فعلت؟ بدأت تحفر في الصحراء ماذا تفعلين يا أم أيمن !؟.

وضعت أم أيمن السيدة آمنة وأخذت تحثو التراب على جسدها

ولعل النبي ﷺ كان ينظر إلي أمه وهي تدفن.

وكأن الله تبارك وتعالى أراد أن يعلم نبيه حقيقة الدنيا لذلك هانت الدنيا في عينه ﷺ ، نعم فكل هذا من الإعداد الرباني للنبي ﷺ ليتحمل الآلام والمشاق من أجل دعوة الإسلام .

فقد يمر المؤمن بالمصائب والأحزان وهو لا يدري أن وراءها الخير الكثير ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

مع الجد العطوف

وعاد الحبيب ﷺ إلي مكة بعد أن أصبح يتيم الأب والأم، عاد ﷺ إلي مكة ليعيش مع جده عبد المطلب، وحاول جده أن ينسيه آلام اليتم وآثار الحزن فكان يؤثره علي أولاده، وبذل أقصى ما في جهده، ولقي الحبيب ﷺ من الحفاوة والتكريم مالا يعرف مداه؛ وبالفعل نجح عبد المطلب فجعل الحبيب ﷺ لا يشعر بآثار اليتم حتى تعلق بجده وأصبح لا يستطيع مفارقته.

ولكن مات جده عبد المطلب، فقد أراد الله تبارك وتعالى أن ينشأ نبيه يتيمًا بعيدًا عن تربية أبيه وأمه وجده، حتى لا يزعم أحد أن اليُتْم نقمةٌ تَحُولُ بين صاحبها وبلوغ أسمى المراتب، بل تكون الأسوة الحسنة لكل يتيم في شخص

رسـول الله ﷺ الذى كانـت تربيـة الله وعنايتـه بـه أفضـل وأكمـل وأحكـم وأحسـن مـن أي تربيـة أخـرى، وصـدق الله حيـث أظهـر مِنَّتَـه على نبيـه بقـوله:

﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴾ [الضُّحى:٦].

نريد أن نتعلم من حياة الحبيب ﷺ أن الشدائد تصنع الرجال، وأن لحظات الضيق تحمل مفاتيح الفرج، وأن الله لا يمنع المؤمن إلا ليعطيه، ولا يبتليه إلا بقدر يرفع درجته ويُعلي منزلته.





كفالة عمِّه ﷺ

ولما بلغ الحبيب ﷺ الثامنة من عمره وبعد أن توفي جده الرحيم والكافل الكريم عبد المطلب وقد أوصى قبل موته أن يكفله أبو طالب عم النبي ﷺ.

وكان أبو طالب فقيرًا معه الكثير من الأولاد، ففطن الحبيب ﷺ رغم صغر سنة إلى فقر عمه وأنه بحاجة إلى من يعاونه، فماذا فعل أخذ يبحث عن عمل ليساعد عمه فرفض العم شفقة به ورحمة بصغره.

وهكذا يجب أن يكون القريب من الأخوال والأعمام تجاه أقربائهم، وياللأسف والعجب، حين نسمع أن بعض الأعمام أو الأخوال يطمع في أموال الأيتام الذين استرعاهم الله فيهم، ويريد أن يأخذ ما بأيديهم لنفسه، وَيُحْرِمَهُم من حقهم الشرعي، ونسي أن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠].

ويصر الحبيب ﷺ على العمل فاشتغل ﷺ برعي الأغنام وهو ابن ثمانِ سنين، يكد ويتعب ويعمل، واكتسب من رعي الأغنام صفات كثيرة منها:

١- الصبر: فكان ﷺ يرعى الأغنام من أول اليوم إلى آخره، ومعلوم أن الأغنام أكثر الحيوانات تفرقًا، فكان ﷺ يجمعها ويوحدها دون أن يتأذى أو يثور، وكأن الله تعالى يعد نبيه ﷺ لأمر عظيم وهو جمع شتات الأمة وتوحيد صفوفها.

٢- التواضع: فكان ﷺ يجلس معهم وينام بجوارهم.

٣- الرحمة والعطف: فكان ﷺ يساعد الأغنام إذا مرضت ويداوي الجريحة منها.

٤- اليقظة والانتباه: لأنه لو غفل أو سها عن الغنم فإن الذئب يمكنه أن يفترس منها واحدة أو أكثر ولذلك لم يكن يسهو عن غنمه.

٥- الشجاعة: فكان ﷺ يحفظ الأغنام من الحيوانات المفترسة في الصحراء.

٦- الأمانة: فهو يتسلم عددًا معينًا من الغنم في الصباح ويردها كما هي في المساء وربما زاد في عددها إذا ولدت إحداها فإنه يردها مسرورًا بهذا الخبر.

٧- القناعة: فكان يرعى الأغنام بأجر قليل (قراريط) أي جزء من الدراهم.

فقد اقتضت حكمة الله تعالى ألا يرسل رسولًا إلا ورعى الغنم، ولعلها أولى مراتب مدرسة النبوة، فالحق سبحانه يدرب رسوله على رعاية الرعية برعي الغنم ...

لأن الغنم أمة فيهم القوي والضعيف والنشيط والوديع، والمريض والصحيح.

فإذا ما رعى الراعي ووفق بين هذه الأنواع في الأغنام؛ فإنه يستطيع أن يوفق بين الرعية من بني الإنسان على اختلاف صنوفهم وعقولهم وأفكارهم، والتعامل مع كل نوع بما يناسبه وقد رعى الحبيب ﷺ الغنم، مثل من سبقوه من الأنبياء قبله.

قَالَ ﷺ: مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ. فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ.

فَقَالَ: نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ. [رواه البخاري:٢٢٦٢]

ولا شك أن العمل في أي مهنة شريفة مهما قل الكسب فيها، خير من أن يعيش الإنسان عالة على غيره من الناس، أو يتسول في الطرقات لكي يعيش.



ولما بلغ الحبيب ﷺ الثانية عشرة من عمره ارتحل به أبو طالب تاجرًا إلي الشام والتقي ببحيرا الراهب فأبصر محمد ﷺ وتحدث معه ثم التفت إلي أبي طالب ودار بينهما هذا الحوار:

الراهب: من هذا الغلام منك؟

أبو طالب: إنه ابني .

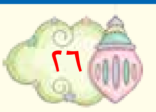
الراهب: ما هو بابنك، وما ينبغي أن يكون أبوه حيًّا .

أبو طالب: هو ابن أخي .

الراهب: أين أبوه ؟

أبو طالب: مات وهو في بطن أمه .

الراهب: صدقت فارجع به واحذر عليه من اليهود والله لو رأوه ليناله منهم شر فإنه سيكون له شأن عظيم .



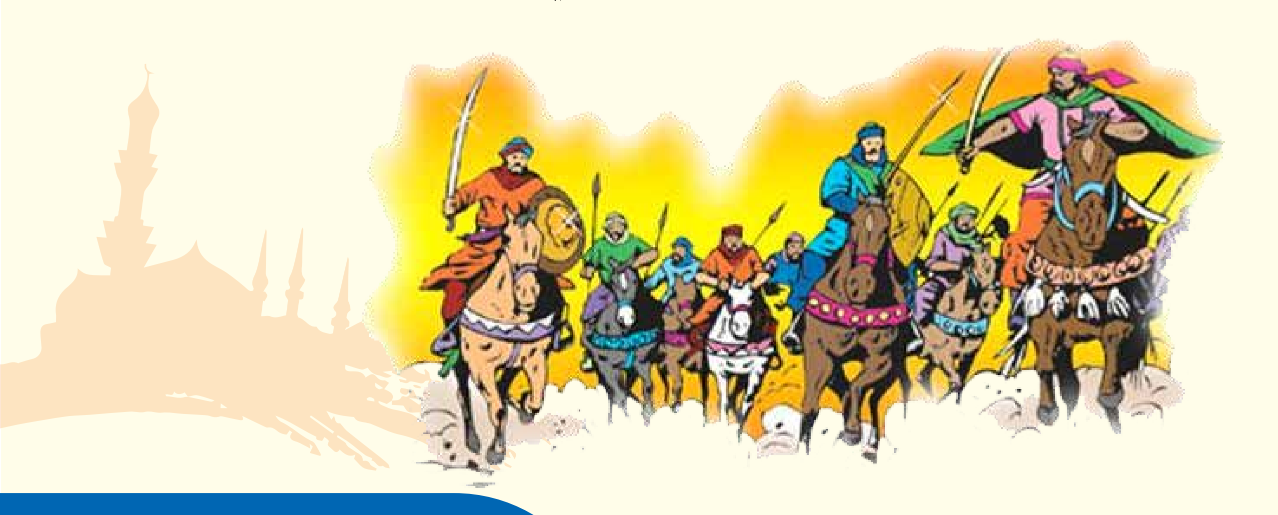
بعدها أسرع به أبو طالب عائدًا إلى مكة خوفًا عليه من أن يصيبه أذى من اليهود .

ولما بلغ الحبيب ﷺ الثالثة عشرة من عمره ظل يسعى ويعمل للكسب الحلال من خلال رعيه للغنم، ثم عمل بالتجارة وهي مهنة تُعلم الإنسان صفات الناس وأخلاقهم لأنه يحتك بهم ويعاملهم بالمال فتظهر أكثر الطبائع خلال هذا التعامل، واشتهر ﷺ بين الناس بالصادق الأمين، وليس من السهل أن يجمع التاجر بين الصدق والأمانة ورضا الناس، ولكن رسول الله ﷺ القدوة لكل تاجر والأسوة لجميع الناس جمع بين الصدق والأمانة والإخلاص ورضا الناس.



حرب الفُجار

ولما بلغ الحبيب ﷺ خمس عشرة سنة؛ وقعت حرب الفجار بين قريش ومعهم كنانة وبين قيس وسميت بذلك للقتال في الأشهر الحرم وكان ﷺ يضرب بالنبل دفاعًا عن حرمة الأشهر الحُرُم التي اعتدت عليها بعض القبائل، فتعلم فن الحرب والقتال، وتعلم فن صنع معاهدات السلام، فقد وقع علي إثر هذه الحرب حلف الفضول وهو المعاهدة علي ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وشهده الحبيب وهو مبني علي خلاف الحمية الجاهلية.





ولما بلغ الحبيب ﷺ الخامسة والعشرين من عمره وقد كان يعمل حينئذ في التجارة وقد اشتهر بالصدق والوفاء والأمانة سمعت السيدة خديجة بنت خويلد به فأرسلت إليه ليخرج تاجرًا بمالها إلى بلاد الشام مع غلامها ميسرة فقبل ﷺ وهناك عرف ميسرة الكثير من صفاته وأخلاقه الكريمة، فلما عاد وصفها لسيدته فأعجبت به .

ولما رأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر من قبل فتحدثت بما في نفسها إلي صديقتها نفيسة بنت منبه فذهبت نفيسة إلي النبي ﷺ تفاتحه في زواجه بالسيدة خديجة.

ولا حرج في وجود الميل في القلب، المهم هو كيفية التعبير عن هذا الميل، فلا تفعل ما يغضب الله عز وجل .

وتـزوج النـبي ﷺ السـيدة خديجـة بعـد رجوعـه مـن الشـام بشـهرين، فكانـت خـير زوجـة لخـير شـاب، فأنجبـت منـه: ولديـن همـا: القاسـم، وعبـد الله .

وأربع بنات هن: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة .

وكلهم ماتوا في حياته ﷺ إلا فاطمة توفيت بعده بستة أشهر.

إن فقـدان الـولد مصـابٌ عظيـم لـلأب والأم، ولكـن أجـر الصـبر أعظـم، فـالله لا يصيـب العبـد بشـدة إلا ليرفـع درجتـه ويسـكنه جنتـه، وتسـتمر الحيـاة بعـد ذلـك ولا تقـف حركـة الكـون مـن أجـل أحـد، والدعاة هـم أحـرى النـاس بتدبـر هـذه المعـاني وتلقينهـا للنـاس سـلوكًا وقـدوةً وتخفيفًـا ورحمـة .

ومن خلال زواج النبي ﷺ بالسيدة خديجة رضي الله عنها، نتعلم أن :

١-المرأة إذا وجدت لها الكفء فلا مانع أن تطلب منه الزواج .

٢- عامل السن في الزواج في حالة الكفاءة، ورجحان العقل لا يفسد الحياة الزوجية.

٣- عمل الرجل في مال زوجته لا شيء فيه، وعليه أن يتقى الله عز وجل ويكون على قدر المسئولية.

٤- أن الصدق والأمانة من صفات الأنبياء والمرسلين، وحري بالمرء أن يتمثل بهما، وهي صفات تجعل صاحبها عزيزًا في قومه .

٥- ينبغي غرس صفة الأمانة في نفوس أبنائنا منذ الصغر حتى يتعودوا عليها .

٦- سنت السيدة خديجة بزواجها من رسول الله ﷺ، سنة ترفع من قدر المرأة، فقد تمسكت بحقها في اختيار شريك حياتها، وانتقاء الرجل الصالح الذي أحبت أن يكون أبًا لأولادها منه.



قبل بعثته ﷺ



ولما بلغ الحبيب ﷺ الخامسة والثلاثين من عمره قامت قريش ببناء الكعبة من جديد وذلك بعد سيل عرم جرف مكة إنحدر إلي البيت الحرام فأوشكت الكعبة علي الانهيار وكان النبي ﷺ ينقل الحجارة مع عمه العباس .

فلما بلغ البناء موضع الحجر الأسود، أرادت كل قبيلة أن تحظى بشرف وضع الحجر الأسود في مكانه، وكادوا أن يقتتلوا على ذلك، ثم أجمعوا أمرهم أن يُحَكّمُوا أول الداخلين عليهم، فطلع عليهم رسول الله ﷺ فاستبشروا وهللوا، وقالوا:

رضينا بالصادق الأمين، ثم عرضوا الأمر عليه، والحبيب ﷺ بخبرته وحكمته.

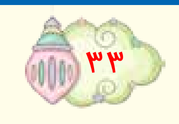
قال لهم على الفور: ضعوا الحجر على ثوب، ثم جمع رموز القبائل وكبراءها وقال: (ليُمسكْ كُلُ واحدٍ طرف الثوب)، وأمرهم برفعه معًا وعليه الحجر، ثم

استلمه النبي ﷺ بنفسه ووضعه في مكانه، وبذلك انتهت مشكلة كادت تؤدي إلى حرب يهلك فيها الصغير والكبير.

ومما يدل على سلامة فطرة العرب أنهم قرروا ألا يدخل في بناء الكعبة مال حرام، فجمعوا المال الحلال وشرعوا في البناء، ولم يكن المال كافيًا لإتمام البناء، فأخرجوا حجر إسماعيل من الكعبة.

وكان هذا عندهم أهون من بنائها كاملة بمال حرام، إن الذي أدركته العرب بفطرتها يغيب الآن عن كثير من الناس يجمعون المال ولا يبالون أمن حلال أم حرام.

وقبل الأربعين حُبب إلي الحبيب ﷺ الخلاء فكان يأخذ السويق والماء ويذهب إلي غار حراء في جبل النور علي بعد نحو ثلاثة كيلو مترًا من مكة فيقيم فيه شهر رمضان يقضي وقته في العبادة والتفكير فيما حوله من المشاهد الكونية وفيما وراءها من قدرة مبدعة.





لقد بلغ الحبيب الآن الأربعين من عمره وها هو ذا ﷺ إن غدا أوراح لا يمر بحجر ولا شجر إلا قال له: السلام عليك يا رسول الله فيلتفت حوله يمينًا وشمالًا فلا يري أحدًا سوى الحجر والشجر يسلم عليه.

وها هو ﷺ صار لا يري رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح.



وفي ليلة من ليالي رمضان لعلها السابعة عشرة منه نزل عليه جبريل عليه السلام يحمل بشري النبوة تمهيدًا لحمل الرسالة إلي الناس كافة وذلك في العام الثالث عشر قبل الهجرة.



نظـر النـبي ﷺ إلى السـماء فوجـد شـيئًا يسـد الفضـاء، مـا هـذا!؟ إنـه يقـترب منـه شـيئًا فشـيئًا لقـد اقـترب منـه أكـثر ..

خشي النبي ﷺ على نفسه لكنه لم يستطع أن يفعل شيئًا ..

واقترب منه الملك جبريل.

وبدأ يخاطبه: قال جبريل للنبي ﷺ: اقرأ.

فقـال النـبي ﷺ: مـا أنـا بقـارئ (أي لا أقـرأ ولا أكتـب) فـكان الحبيـب أُميًّـا، والأميـة إذا مـا نسـبت إلى أحـد فـهي عيـب ونقص، ولكـن إذا مـا نسـبت إلى الحبيـب ﷺ فـهي معجـزة مـن معجزاتـه فهـو الأمي الذي علـم الأمـة كُلهـا .

ثم ضمه الملك إلى صدره ضمة شديدة جعلت العرق يتصبب من جبين الحبيب ﷺ ثم تركه.

أعادها جبريل مرتين ويجيب النبي ﷺ نفس الإجابة ما أنا بقارئ .

فقال جبريل عليه السلام : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق:١-٣].

فكان أول ما نزل من الوحى اقرأ، فنحن أمة اقرأ، أمة العلم ولكن أين أنتم يا أمة اقرأ أين أنتم يا شباب العلم ؟!.

وبعد ذلك انصرف الملك وغاب عن بصر الحبيب ﷺ وظل يبحث عمن كان يحدثه فلم يجده ..

نزل الحبيب ﷺ من الغار، وأسرع إلى بيته خائفًا مذعورًا، وحكى لزوجته البارة خديجة ما حدث فطمأنته وقالت له: والله لا يخزيك الله أبدًا، وذكرته ببعض خصاله الحميدة مثل أنه كان :









نعم فصَنَائِعُ الْـمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ.

وبعدها ذهب الحبيب ﷺ مع زوجته خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان مشهورًا بالعلم والفضل في زمن الجاهلية، وكان لا يعبد الأصنام، وكان شيخًا كبيرًا كُف بصره.



وصلت خديجة مع زوجها إلى بيت ورقة بن نوفل وأخبر الحبيب ﷺ ورقة بما رآه وما سمعه في الغار، فطمأنه ورقة وقال له:

إن هذا الذي رأيته في الغار هو الوحي الذي كان ينزل على موسى عليه السلام

إنك ستكون نبي هذه الأمة.

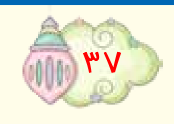
وليتني أكون حيًّا فأنصرك حين يخرجك قومك من بلدك!

فتعجب النبي ﷺ وسأل: وهل سيُخرجني قومي؟!

فقال له ورقة: نعم لم يأت رجل بما جئت به إلا عاداه قومه وأخرجوه ولو كنت قويًّا في ذلك الوقت لأنصرنَّك نصرًا قويًّا.

وعاد الحبيب ﷺ إلى بيته يفكر فيما قاله ورقة بن نوفل فعلم أن الأيام تُخبئ له أحداثًا عظيمة ولكنه كان على يقين وثقة أن الله لا يخذله .

وانقطع الوحي زمانًا، ثم تتابع، وبدأ القرآن ينزل.





من الأربعين إلي الثالثة والأربعين من عمره الشريف

وبدأ الحبيب ﷺ دعوته في أول الأمر سرًّا فكان أول من أسلم من النساء خديجة ومن الرجال أبو بكر الصديق ومن الصبيان علي بن أبي طالب ومن الموالي زيد بن حارثة وغيرهم الكثير.



ولما زاد عدد الذين دخلوا في الإسلام علي الثلاثين اختار لهم الرسول ﷺ دار أحدهم وهو (الأرقم بن أبي الأرقم) لتكون أول مدرسة في الإسلام لكي يتعلموا فيها مبادئ هذا الدين. وأول ما نزل من الأحكام الأمر بالصلاة.



الأسباب في اختيار دار الأرقم:

كان اختيار دار الأرقم لعدة أسباب منها:

١- أن الأرقم لم يكن معروفًا بإسلامه، فما كان يخطر ببال أحد أن يتم لقاء محمد وأصحابه بداره.

٢- أن الأرقم بن أبي الأرقم ﵁ من بني مخزوم، وقبيلة بني مخزوم هي التي تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم. فلو كان الأرقم معروفًا بإسلامه فلا يخطر في البال أن يكون اللقاء في داره؛ لأن هذا يعني أنه يتم في قلب صفوف العدو.

٣- أن الأرقم بن أبي الأرقم ﵁ كان فتى عند إسلامه، فلقد كان في حدود السادسة عشرة من عمره، ويوم تفكر قريش في البحث عن مركز التجمع الإسلامي، فلن يخطر في بالها أن تبحث في بيوت الفتيان الصغار من أصحاب محمد ﷺ بل يتجه نظرها وبحثها إلى بيوت كبار أصحابه، أو بيته هو نفسه عليه الصلاة والسلام.

فقد يخطر على ذهنهم أن يكون مكان التجمع على الأغلب في دور بني هاشم، أو في بيت أبي بكر رضي الله عنه أوغيره، ومن أجل هذا نجد أن اختيار هذا البيت كان في غاية الحكمة من الناحية الأمنية، ولم نسمع أبدًا أن قريشًا داهمت ذات يوم هذا المركز وكشفت مكان اللقاء.



الجهر بالدعوة أي العلنية (لا مواجهة ولا قتال)

أول خمس سنوات من البعثة

نزل القرآن على الحبيب ﷺ يأمره أن يجهر بما جآءه من الحق قال تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحِجر:٩٤].

فقام الحبيب ﷺ ليصدع بالدعوة وأصبحت المواجهة حتمية بين المؤمنين والكافرين. ونزل قوله تعالي: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤].

فبدأ الحبيب ﷺ بدعوة أهله من بني هاشم فعارضه أبولهب وتعهد أبو طالب بحمايته .

ثـم بعـد ذلـك صعـد الحبيـب ﷺ ذات يـوم جبـل الصفـا ونـادى بطـون قريـش وجهـر بدعوتـه فقـام له أبولهـب وقـال له: تبًـا لـك سـائِر اليـوم ألهـذا جمعتنـا فنزلـت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المَسَـد:١] .



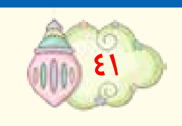
وبدأ الحبيب ﷺ يدعو الناس جميعًا ويقول:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ تُفْلِحُوا) .

وكان ﷺ يعيـب الأصنـام، ويذكـر النـاس بأنهـا حجـارة لا تنطـق، ولا تسـمع، ولا تبـصر، ولا تنفع ولا تـضر.

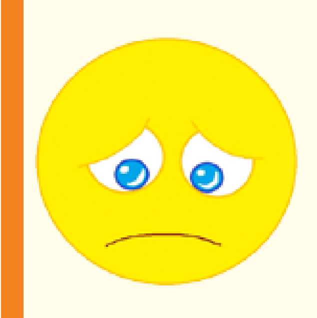
وكان أبـرز خصائـص هـذه المرحلـة التضحيـة والفـداء وتحمـل الإيـذاء والثبـات على الحــق كمــا ســيأتي بيانــه إن شــاء الله.







من الأربعين إلى الخامسة والأربعين من عمره الشريف



انفجرت مكة بمشاعر الغضب، حين سمعت صوتًا يجهر بحرية العبيد وترك عبادة الأصنام، ويسوي بين الغني والفقير، والسادة والعبيد، فلن يصبح سيد يملك عبدًا بعد ذلك، بل سيصير الكل سواءً رأسًا برأس، فالناس في الإسلام عبيد في مملكة الله تعالى، الذي لا فضل لغني على فقير عنده إلا بإيمان وتقوى، لا بالمال أو الجمال، ولا بالجاه أو السلطان.

فقامت قريش تستعد لحسم هذه الثورة. وبدأت مرحلة المحنة والابتلاء للنبي ﷺ وأول من بدأ بذلك عمه أبو لهب فعندما كانت البعثة أمر ولديه عتبة وعتيبة بتطليق بنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم، وكان يسير خلف النبي ﷺ

في موسم الحج والأسواق لتكذيبه بل كان يضربه بالحجر حتى سال الدم الشريف من قدمي الحبيب ﷺ وكانت أم جميل زوج أبي لهب تضع الشوك والقاذورات أمام باب النبي ﷺ واتهموه بالسحر والجنون والكذب، فلم تؤثرالسخرية والاستهزاء بالحبيب ولم يتوقف عن الدعوة، فبعد أن فشلوا انتقلوا من الإيذاء النفسي إلى الإيذاء البدني فقد وصل الأمرإلى أن جاء أحد الكفار وهوعقبة بن أبي مُعَيْط فأمسك بالقاذورات المتبقية من الذبائح وألقاها على النبي ﷺ وهو ساجد عند الكعبة، فلم يستطع أن يرفع رأسه حتى جاءت ابنته الصغيرة فاطمة فأخذته عن ظهره وهي تبكي وقد سالت دموعها على خديها، فقال في صبر المؤمن وثقته بربه: لا تبكي يابنتي، فإن الله ناصر أباك .

ومرة أخرى حاول أن يقتل النبي ﷺ وهو يصلي ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقًا شديدًا وتفل في وجه النبي ﷺ فجاء أبو بكر مسرعًا ودفع المشركين بعيدًا عن النبي ﷺ وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر:٢٨].

أما الصحابة فكانت ألوان العذاب تنزل على رؤوسهم بلا رحمة، ويكفي أن نعلم أن أسرة واحدة قد قتل منها الوالدان وظل الابن يعذب بالضرب والإحراق تارة، وبالحر

ووضع الصخر على صدره أخرى، وبالتغريق حتى نطق بكلمة الكفر، فأتى إلى النبي ﷺ وهو يبكي، تلك أسرة (آل ياسر) لقد قتل أبو جهل سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر وهى أول شهيدة في الإسلام، ثم لحق بها زوجها بعدها بعدة أيام.

أما بلال بن رباح فقد كان عبدًا رقيقًا وكان سيده أمية بن خلف يربطه بحبل في عنقه ويأمر الصبيان يلهون به ويطوفون به جبال مكة حتى إذا جاء وقت الظهيرة طرحوه على الأرض ووضعوا فوق صدره صخرة كبيرة وجروه على الأرض ولكنه لم يكن يهتم بل كان ينادي بأعلى صوته: أحد أحد.

اشتد تعذيب الكفار للمسلمين، كانوا يريدون أن يردوهم عن دينهم، وكان المسلمون لا يزدادون بذلك إلا إيمانًا ويقينًا، وعندما فشلت قريش أن ترد الحبيب ﷺ وأصحابه عن دينهم عرضوا عليه الرشوة من الأموال والزعامة لكنه رفض ﷺ.



كان الحبيب ﷺ في الخامسة والأربعين من عمره الشريف

الهجرة الأولي: وفي رجب سنة خمس من النبوة وبعد أن نزلت سورة الزُّمَر تشير إلي اتخاذ سبيل الهجرة فقال تعالي: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٖ ﴾ [الزُّمَر:١٠].



ولما رأى الحبيب ﷺ ما يُصيب أصحابه من البلاء قال لهم: (لَوْ خَرَجْتُمْ إلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ حَتّى يَجْعَلَ اللّهُ لَكُمْ فَرَجًا) فهاجر أول فوج من الصحابة إلي الحبشة وكانوا اثني عشر رجلًا وأربع نسوة أميرهم **عثمان بن عفان** ومعه زوجته **رقية** بنت رسول الله ﷺ.

كان الرحيل إلى الحبشة تسللًا في ظلمة الليل - حتى لا تستيقظ قريش لأمرهم- خرجوا إلى البحر، وقيضت لهم الأقدار سفينتين تجاريتين أبحرتا بهم إلى الحبشة، وفطنت لهم قريش، فخرجت في آثارهم، لكن لما بلغت إلى الشاطئ كانوا قد انطلقوا آمنين، وأقام المسلمون في الحبشة في أحسن جوار.

حتي وصلت إليهم أخبار كاذبة أن قريشًا أسلمت، فرجعوا إلى مكة في شوال من نفس السنة، فلما وصلوا مكة عرفوا حقيقة الأمر رجع منهم من رجع إلى الحبشة، ولم يدخل في مكة من سائرهم أحد إلا مستخفيًا، أو في جوار رجل من قريش .



الهجرة الثانية: ثم بعد ذلك استعد المسلمون للهجرة مرة أخري وهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلًا وثماني عشرة أو تسع عشرة امرأة.

ثم بعد ذلك اشتدت قريش في التعذيب ومحاولة القضاء علي الحبيب ﷺ .





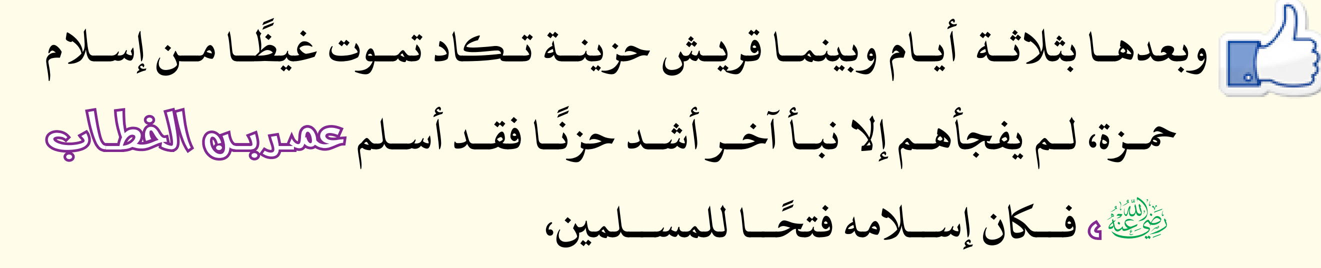
السنة السادسة من البعثة

كان الحبيب ﷺ في السادسة والأربعين من عمره الشريف

وفي هذه السنة وفي هذا الجو الملبد بالغيوم والظلم حدث أمران عظيمان وهما:



إسلام **حمزة بن عبد المطلب** رضي الله عنه عم رسول الله ﷺ وهو أسد الله ورسوله وكان قويًا شجاعًا في قومه .



وبعدها بثلاثة أيام وبينما قريش حزينة تكاد تموت غيظًا من إسلام حمزة، لم يفجأهم إلا نبأ آخر أشد حزنًا فقد أسلم **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، فكان إسلامه فتحًا للمسلمين،

قال عبد الله بن مسعود:

(مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ). رواه البخاري



من السابعة إلي العاشرة من البعثة



كان الحبيب ﷺ في السابعة والأربعين من عمره الشريف.

وفي هـذه السـنة تحالفـت قريـش علي بـني هاشـم وبـني عبـد المطلـب على ألا يشـترون منهـم شـيئًا ولا يبيعـوا لهـم شـيئًا، ولا يتزوجـوا مـن بـني هاشـم ولا يزوجونهـم، ولا يجالسـونهم ولا يكلمونهـم حـتى يسـلموا إليهـم رسـول الله ﷺ ليقتلـوه وكتبـوا بذلـك صحيفةواشـتد الحصـار حـتي كان يسـمع مـن وراء الشِّـعب[1] أصـوات نسـاءهم وصبيانهـم يبكـون مـن الجـوع، وقـد اسـتمرت المقاطعـة ثـلاث سـنوات كان طعـام المسـلمين فيهـا أوراق الشـجر والمسـلمون صابـرون حـتى أرسـل الله الأرضـة علي الصحيفـة فأكلتهـا إلا ذكـر الله فأخـبر الحبيـب ﷺ بذلـك عمـه وأخبرهـم.

(١) الشعب بكسر الشين: هو الطريق بين الجبلين.

ونقضت الصحيفة وخرج الحبيب ﷺ وأصحابه من الشِّعب .

وهكذا مرت محنة من أشد ما عاناه المسلمون في بداية الدعوة إلى الله .

فكان رجالها من الجيل الفريد الذي اصطفاه الله لحمل راية التوحيد، فصبروا على ما أذوا، وتحمل معهم نبيهم جزءًا من الابتلاء ثم أنعم الله عليهم بالعزة والتمكين، وإليك بعض حكم الابتلاء وفوائده:

١. تصفية الصفوف.

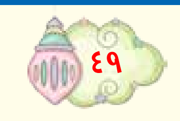
٢. تربية حياة المسلم.

٣. الكشف عن خبايا النفوس.

٤. الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة.

٥. معرفة حقيقة النفس.

٦. رفع المنزلة والدرجة عند الله، وتكفير السيئات .



عام الحزن

العاشر من النبوة

كان الحبيب ﷺ في الخمسين من عمره الشريف

انتهى الحصار الذي دام ثلاث سنوات، وأنهك الصحابة وغيرهم بما فيهم عم النبي ﷺ وأم المؤمنين السيدة خديجة -رضي الله عنها- اللذان لم يستطيعا مقاومة المرض لشدته وكبر سنهما .

فمات أبو طالب الذي كان يدافع عن الحبيب ﷺ وينصره ، وكان حصنًا للدعوة الإسلامية احتمت به من هجمات الكفار والسفهاء، فنالت قريش رسول الله ﷺ بأذاها مالم تطمع به في حياة أبي طالب.

ولم تكن المصيبة في موت عمه فحسب بل كانت المصيبة في أنه مات كافرًا مع أن النبي ﷺ كان يتابعه بالدعوة حتى آخر لحظة في حياته، فعن المسيب قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً

أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ)، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣].

وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦][١]

وما كاد الحبيب ﷺ يخلع ثوب الحزن على عمه حتى فُجع بموت زوجه وشريكة عمره خديجة رضي الله عنها التي آزرته ونصرته وواسته بنفسها ومالها، وقاسمته الأذى والهموم فكانت نعم الزوجة الصابرة، وهكذا يجب أن تكون المرأة مع زوجها فلا تتخلى عنه وقت الأزمات.

بل يجب عليها أن تشاركه الحياة بحلوها ومرها بنفس مطمئنة، بغير ضجر كما تفعل بعض النساء.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري، ومسلم.

حزن النبي ﷺ لوفاتها حزنًا شديدًا.

أما الكفار ففرحوا فرحًا شديدًا لأن الحماية قد زالت عن النبي ﷺ ويستطيعون الآن أن يفعلوا به ما يشاءون، وفعلًا اشتد الأذى بالحبيب ﷺ بعد موت عمه وزوجه.

وعام الحزن على ما فيه من ألآلم إلا أنه يدل على لطف الله بنبيه ورحمته به؛ فلقد أراد الله أن يجعل نبيه ومصطفاه؛ لا يعتمد إلا عليه، فكما رعاه الله في صغره، فإنه سيرعاه في كبره ويعصمه من الناس.

وعام الحزن يدعو المؤمنين أيضًا إلى التحمل والصبر على الشدائد والملمات، وبذل المزيد من الجهد لرفعة الإسلام، فهو يحتاج إلى رجال صدقوا مع أنفسهم وربهم .

وطريق الدعوة مليء بالعقبات والابتلاءات، ولا يعين السائر فيه على تخطي الصعاب إلا بالثقة بنصر الله، وباليقين أن العاقبة لهذا الدين.

وإن الإيمان إذا خالط القلوب؛ فإنه يحول الخوف أمنًا وسكينة، وأن الداعية إذا علم الله صدق نيته، فإنه يهيئ لدعوته قلوب عباده المخلصين فتتلقاها، وتضحي في سبيلها بكل غال ونفيس.

البحث عن مكان جديد للدعوة

بعد أن فقد الحبيب ﷺ عمه أبا طالب وزوجه خديجة اللذين كانا عونًا له على قومه، بدأ الحبيب ﷺ يفكر في مكان آخر للدعوة غير مكة فخرج الحبيب ﷺ إلى الطائف وهى تبعد عن مكة نحو ستين ميلًا [أي قرابة: ٩٦ كيلو متر] سارها ماشيًا على قدميه ذهابًا وعودة، حتى لا تشك قريش في ذهابه إلى مكان بعيد، فتراقبه أو تمنعه، فذهب إلى ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف وهم: عبد ياليل ومسعود وحبيب فجلس إليهم ودعاهم إلى الله وإلى نصرة الإسلام.فقال أحدهم: هو يَمْرُط ثياب الكعبة [أي يمزقها] إن كان الله أرسلك .

وقال الآخر: أما وَجَدَ الله أحدًا غيرك.

وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا، إن كنت رسولًا لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك .

فرفضوا دعوة الحبيب ﷺ فقال لهم إن أبيتم الحماية والإسلام فلا تخبروا قريشًا أني جئت أستعين بكم عليهم، فأبوا إلا أن يخبروهم.

فقال لهم ﷺ: إن أبيتم الحماية وأبيتم إلا أن تخبروا قريشًا فدعوني أرحل.

فقالوا: والله لن تخرج حتى ترجم بالحجارة لكي لا تعود إلى هنا أبدًا، فاصطف أهل الطائف صفين وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمونه ﷺ بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدماء وهو يجري بحثًا عن مكان آمن يختبئ فيه فدخل بستانًا صغيرًا لعتبة وشيبة ابنى ربيعة فلما رأى عتبة وشيبة ما أصاب محمدًا ﷺ من جهد وتعب والدماء تسيل منه: رقا له، وتحركت فيهما نخوة الكرم، فأي مشهد كان عليه ﷺ حتى يؤثر في نفوس الكفار بل إن عتبة وشيبة كانا من أشد الكفار عداوة له ﷺ فأرسلا إليه عبدهما عَدَّاسًا، وقالا له : خذ قطفًا من العنب، واذهب به إلى هذا الرجل .

فلما وضعه بين يدي رسول الله ﷺ مد يده إليه قائلًا : بسم الله ثم أكل .

فقال عداس: هذا كلام غريب لا يعرفه أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: من أي البلاد أنت؟

قال: من نِينَوَى.

فقال رسول الله ﷺ: من بلد الرجل الصالح يونس بن مَتَّى.

قال له: أوتعرف يونس بن متى؟

قـال رسـول الله ﷺ: ذاك أخي، كان نبيًـا وأنـا نـبي . فأقبـل عـداس على رأس رسـول الله ويديـه ورجليـه يقبلهـا، وأعلـن إسـلامه .

فقـال ابنـا ربيعـة أحدهمـا للآخـر: أمـا غلامـك فقـد أفسـده عليـك. فلمـا جـاء عـداس قـالا له: ويحـك مـا هـذا ؟

قال: يا سيدى، ما في الأرض شيء خير من هذا الرجل، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي.

قالا له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه .

ورجـع رسـول الله ﷺ في طريـق مكـة بعـد خروجـه مـن الحائـط كئيبًـا محزونًـا كسـير القلـب، فلمـا بلـغ قرن المنـازل بعـث الله إليه جبريـل ومعه ملك الجبـال، يسـتأمره أن يطبق الجبلـين على أهـل مكـة .

وقـد روى البخـاري تفصيـل القصـة - بسـنده - عـن عائشـة -رضي الله عنهـا- أنهـا قالـت للنـبى ﷺ: هَـلْ أَتَى عَلَيْـكَ يَـوْمٌ كَانَ أَشَـدَّ مِـنْ يَـوْمِ أُحُـدٍ قَـالَ لَقَـدْ لَقِيـتُ مِـنْ قَوْمِـكِ مَـا لَقِيـتُ وَكَانَ أَشَـدَّ مَـا لَقِيـتُ مِنْهُـمْ يَـوْمَ الْعَقَبَـةِ إِذْ عَرَضْـتُ نَفْـسِي عَلَى ابْـنِ

عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. [رواه البخاري: ٣٢٣١، مسلم: ١٧٩٥]

هكذا كانت الرحمة في قلب الحبيب ﷺ لمن حوله وإن كان كافرًا، ولا عجب في ذلك فقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]

وبعد كل العناء الذي لقيه الحبيب ﷺ في ذلك اليوم، لم يتخل عن قيام الليل، كان مجهدًا ومتعبًا لكنه قام يصلي لله في جوف الليل فمر به نفر من الجن الذين ذكرهم الله ﷻ في سورة الأحقاف ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٠]. وهم من

جن نصيبين[١] وكانوا سبعة نفر فأسلموا وحملوا رسالة الله إلي قومهم منذرين.

وفي ســـورة الجـــن: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ [الجن:١-٢].

وهكذا انتهت رحلة الطائف وكانت من أصعب المواقف التي تعرض لها الحبيب ﷺ.

وإذا كان النبي ﷺ خلال هذه الرحلة رجع بإسلام شخص واحد، فهذا درس للدعاة بعدم القنوط من رحمة الله وعلى المرء أن يعمل ولا ييأس ويدع النتائج لله ﷻ .

﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ .

الحبيب ﷺ اختار الطائف، وأراد الله المدينة.

الحبيب ﷺ اختار الإنس، وأراد الله الجن.

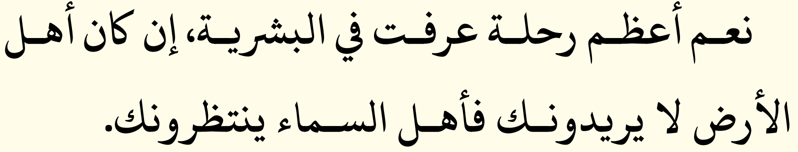
الحبيب ﷺ اختار كبار الطائف، وأراد الله عداسًا .

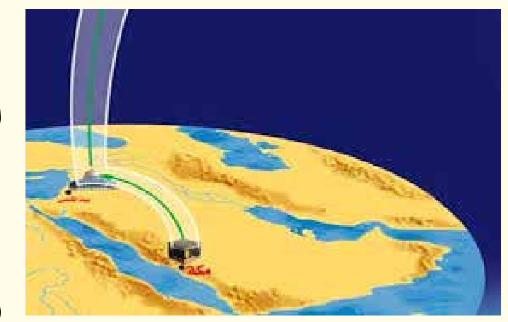
---

(١) نصيبين: مدينة بالشام .









نعم أعظم رحلة عرفت في البشرية، إن كان أهل الأرض لا يريدونك فأهل السماء ينتظرونك.

سمع أهل مكة بما حدث للحبيب ﷺ بالطائف ففرحوا فرحًا شديدًا وأظهروا الشماتة به، وقالوا لا يمكن أن يدخل مكة مرة أخرى وليبحث له عن ملجأ آخر.

وأحس الحبيب ﷺ بما ينويه أهل مكة، وأنهم سيمنعونه من دخول مكة فأرسل إلى مطعم بن عدي أحد أشراف العرب ليطلب الحماية منه فوافق، ودخل الحبيب ﷺ مكة وطاف بالكعبة قبل أن يعود إلى بيته.

وفي ظل هذه الأحزان الشديدة والآلام التي تعرض لها الحبيب ﷺ من حصار ثلاث سنوات وبعد فقد عمه وفقد أم المؤمنين خديجة وبعد العودة من الطائف وما حدث فيها، جاء

المدد والنور الإلهي يضئ حياة النبي ﷺ جاء الاستدعاء الإلهي للحبيب ﷺ لرحلة غريبة رحلة طويلة تتم في لحظات، جاء جبريل عليه السلام بالراحلة من الجنة، دابة اسمها البراق وبدأ الحبيب ﷺ رحلته من المسجد الحرام إلى بيت المقدس في فلسطين ، راكبًا البراق في صحبه جبريل عليه السلام وعندما وصل قام بربط البراق معلمًا إيَّانا الأخذ بالأسباب والتوكل على الله، ثم دخل الحبيب ﷺ المسجد الأقصى ليلًا فوجد الأنبياء مجتمعين فصلى بهم .

وبعد أن انتهت رحلة الإسراء بدأت رحلة المعراج، وياله من رحلة عظيمة يعجز القلم عن وصفها، فقد عُرج به تلك الليلة من المسجد الأقصى إلى السماء الدنيا، ثم للتي تليها، ثم الثالثة، ثم إلى التي تليها، ثم الخامسة، ثم التي تليها، ثم السابعة . و رأى عندها جبريل على الصورة التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم:١٣- ١٤] وكلمه ربه وأعطاه ما أعطاه . أعطاه الصلاة فكانت قرة عين رسول الله ﷺ ثم عاد ﷺ وكان ذلك في جزء يسير من الليل .

رجع الحبيب ﷺ من رحلة الإسراء والمعراج وعندما أصبح الصباح خرج إلى المسجد واجتمع إليه الناس يسمعون منه .

وقد أعلن الحبيب ﷺ بينهم أنه أسرى به إلى المسجد الأقصى في فلسطين، وهنا استغرب الكثيرون كيف حدث ذلك؟!

فاشتد تكذيبهم له، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، فجلاه الله له حتى عاينه، وجعل يخبرهم به . ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئًا، وأخبرهم عن عيرهم التي رآها في مَسْراه ومرجعه، وعن وقت قدومها، وعن البعير الذي يقدمها. فكان كما قال. ولكن لم يزدهم ذلك إلا عنادًا،

وكان ما أراد الله للإسراء برسوله، من فتنة للناس وابتلاء لمن آمنوا منهم، وللذين أسلموا ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، فارتدَّ ناسٌ ممن كانوا آمنوا بالنبي ﷺ وصدقوه، وحقق الإسراء آيته: فتنة وابتلاءً وتمحيصًا واستصفى للإسلام جنده المخلصين، ممن صح إيمانهم وصدقت عقيدتهم.

وصدق الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء:٦٠].



أسلوب جديد في الدعوة

كان الحبيب ﷺ يأتي في موسم الحج كل عام، يتبع الحجيج في منازلهم، وفي سوق عُكاظ وذِي الْمَجَازِ وغيرهما من الأسواق، يدعوهم إلى الله ويعرض نفسه علي القبائل طالبًا نصرتهم حتى يبلغ دعوة ربه وكان يتبعه في كل مرة عمه أبو لهب ويقول لاتصدقه إنه كاهن إنه ساحر إنه مجنون ويأمر القبائل أن لا تطيعه بل كان يضربه بالحجارة حتى سال الدم الشريف من قدمي الحبيب ﷺ.

حرص الحبيب
على هداية الناس

ورغم كل ما حدث لم يتوقف ﷺ عن الدعوة ولم يعرف اليأس يومًا طريقًا إلى قلبه ﷺ فقد كان حريصًا على هداية الناس جميعًا وكان يتمنى أن يأخذ بأيدي كل الناس إلى الجنة.



السنة الحادية عشرة من النبوة



كان الحبيب ﷺ في الحادية والخمسين من عمره الشريف.



في موسم الحج سنة ١١ من النبوة التقى الحبيب ﷺ بستة من شباب الخزرج عند مكان يُسمى (العقبة) فدعاهم إلي الله تعالي وعرض عليهم الإسلام فأسلموا جميعًا ورجعوا إلي المدينة حاملين رسالة الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيه ذكر رسول الله ﷺ.



كان الحبيب ﷺ في الثانية والخمسين من عمره الشريف

بيعة العقبة الأولي[١] :

تاريخها: السنة الثانية عشرة من النبوة .

أحداثها: التقى الحبيب ﷺ في موسم الحج بوفد من أهل يثرب وكان عددهم اثنا عشر رجلًا من الأنصار فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد التقوا برسول الله ﷺ في العام السابق .

بايعوا الحبيب ﷺ على: ترك الشرك وعبادة الأصنام وعلى الإيمان والطاعة، ووعدهم الحبيب ﷺ بالجنة إن عاشوا على الإيمان والطاعة .

نتائجها: أرسل الحبيب ﷺمعهم مصعب بن عمير ليعلمهم أمور دينهم فكان أول سفير في الإسلام، وبارك الله له في سفره فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون .

---

(١) البيعة: هي عهد أو اتفاق يتعهد فيه الناس لشخص ما بأمر معين كالحماية أو الجهاد مثلما حدث مع الحبيب ﷺ .



كان الحبيب ﷺ في الثالثة والخمسين من عمره الشريف

بيعة العقبة الثانية:

- تاريخها: السنة الثالثة عشرة من النبوة .
- أحداثها: في موسم الحج في هذا العام حضر لأداء مناسك الحج من أهل يثرب سبعون رجلًا وامرأتان .

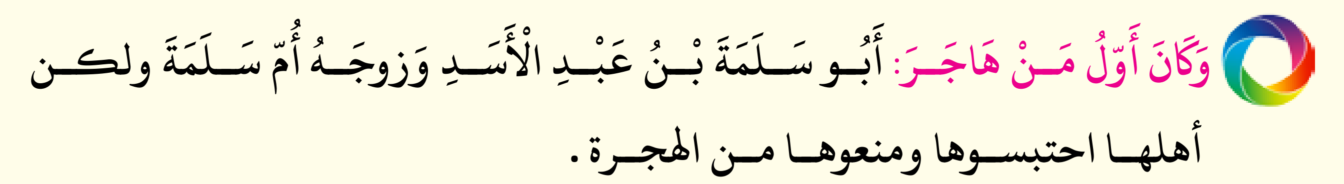
وفي ظلمة الليل تسلل أهل يثرب إلى العقبة والتقوا بالحبيب ﷺ سرًا في الشعب الذى عند العقبة .

- بايعوا الحبيب ﷺ على: أن يحموه وينصروه إن هاجر إليهم .
- نتائجها: بايعهم الحبيب ﷺ وقال لهم: أَنَا مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ مِنِّي .

ثم أذن الحبيب ﷺ لأصحابه بالهجرة إلي المدينة فخرجوا فرارًا بدينهم وهروبًا



مـن الفـتن والابتـلاءات، تركـوا الديـار والأمـوال والأهـل والأصحـاب وفارقـوا الأوطـان حـتى يفـوزوا برضـوان الله وجنتـه .



وَكَانَ أَوّلُ مَـنْ هَاجَـرَ: أَبُـو سَـلَمَةَ بْـنُ عَبْـدِ الْأَسَـدِ وَزوجَـهُ أُمّ سَـلَمَةَ ولكـن أهلهـا احتبسـوها ومنعوهـا مـن الهجـرة .

وأخذ أهل زوجها ابنها سلمة وتجاذبوه حتى خلعوا يده، وظلت تبكي على فراق ابنها وزوجها قُرابة سنة حتى رآها رجل من أبناء عمها فحزن لبكائها وذهب إلى أهلها وقال لهم أما ترحمون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا لها الحقي بزوجك وعند ذلك قام أهل زوجها وردُّوا إليها ولدها سلمة فأخذته وهاجرت إلى المدينة وجمع الله شمل الأسرة مرة أخرى .

فانظـر إلى صـبر أم سـلمة وتضحيتهـا، وقـد كافأهـا الله بعـد وفـاة زوجهـا بـأن زوجهـا رسـول الله ﷺ .

هجـرة صُهَيْـب بـن سـنان الـرومي وموقـف قريـش منهـا: حِـينَ أَرَادَ الْهِجْـرَةَ إِلَى الْمَدِينَـةِ قَـالَ لَهُ كُفَّـارُ قُرَيْـشٍ: أَتَيْتَنَـا صُعْلُـوكًا، فَكَـثُرَ مَالُـكَ عِنْدَنَـا، وَبَلَغْـتَ مـا بلغـت، ثـم تريـد أن تَخْـرُجَ بِنَفْسِـكَ وَمَالِـكَ، وَاللهِ لَا يَكُـونُ ذَلِـكَ.



فَقَالَ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ مَالِي أَتُخَلُّونَ سَبِيلِي؟

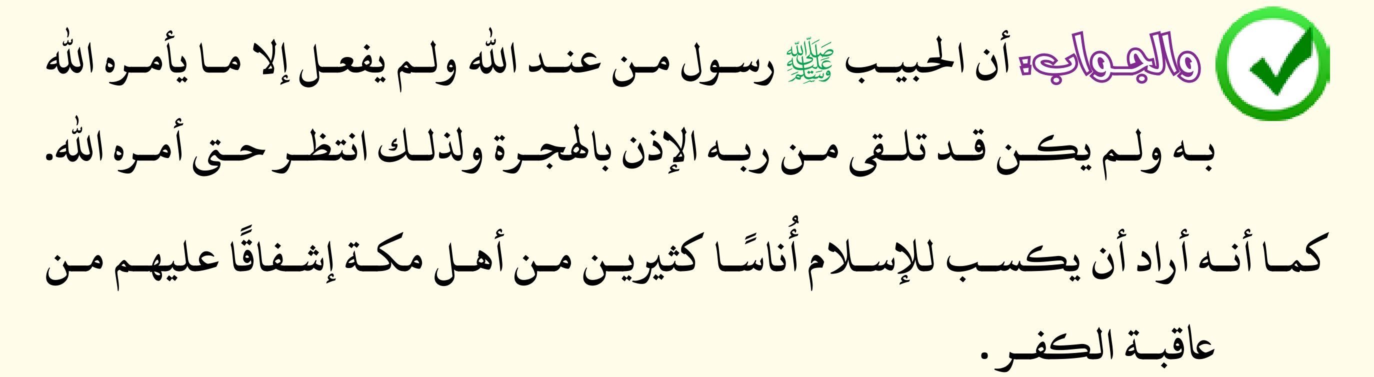
فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُمْ مَالِي، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ .

فَقَالَ: رَبِحَ صُهَيْبٌ، رَبِحَ صهيب .

هجـرة الفـاروق: لقـد هاجـر أصحـاب الحبيـب ﷺ إلى المدينـة سرًا إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنـه لما هـم بالهجـرة أخـذ سيفه ورمحـه ومـضى نحـو الكعبة فوجـد المشركـين جالسـين عندهـا فطـاف بهـا سـبعًا ثـم أتى المقـام فصـلى ركعتـين ثـم وقـف وقـال للمشركـين: مـن أراد أن تفقـده أمـه أو ييتـم ولده أو ترمـل زوجـه فليلقـنى وراء هـذا الـوادي فـإني مهاجـر فمـا تبعـه أحـد .

وهكـذا لـم يبـق في مكـة سـوى الحبيـب ﷺ وأبي بكـر و على بـن أبي طالـب ومـن منعتهـم قريـش مـن الهجـرة .

وهنا سؤال: لماذا لم يهاجر الحبيب ﷺ إلى المدينة بعد البيعة مباشرة ولماذا تأخرت هجرته ؟.



والجواب: أن الحبيب ﷺ رسول من عند الله ولم يفعل إلا ما يأمره الله به ولم يكن قد تلقى من ربه الإذن بالهجرة ولذلك انتظر حتى أمره الله.

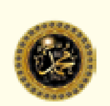
كما أنه أراد أن يكسب للإسلام أُناسًا كثيرين من أهل مكة إشفاقًا عليهم من عاقبة الكفر.

وقد أراد ﷺ أن يطمئن أولًا على أتباعه فلا يتركهم يقاسون من التعذيب وهذا من صفات القائد الناجح الذي يؤمن جنوده ويحافظ عليهم.

وعندما تلقى الحبيب ﷺ الأمر من ربه بالهجرة خرج من بيته دون أن يخشى أحدًا لأنه يعلم أن الله سينصره.



السنة الرابعة عشر من البعثة والأولى بعد الهجرة

 كان الحبيب ﷺ في الرابعة والخمسين من عمره الشريف.

أحست قريش بأن مكة قد خلت من المسلمين، كما أن بعض جواسيسها عرفوا بخبر إسلام أهل يثرب، فجن جنونهم لما رأوا أن المسلمين وجدوا دار حفظ ومنعة، ورأوا في هجرتهم واجتماعهم بيثرب خطرًا على دينهم وكيانهم وتجارتهم، فاجتمعوا فى (دار الندوة[١]) وعقدت جلسة طارئةٌ ليتدارسوا كيف يقضون على دعوة النبي ﷺ؟

وعُقِدت هذه الجلسة برئاسة عمرو بن هشام المعروف بأبي جهل، وقد حضر الجلسة وجوه بارزة من سادة قريش وجدير بالذكر أن إبليس عليه لعنة الله قد حضر الجلسة حيث جاء في صورة شيخ من أهل نجد بعد أن استأذنهم.

(١) دار الندوة:هي دار كانوا يتشاورون في أمورهم فيها.

ويقف الآن أبو جهل ليقدم هذه التوصية إلى المجلس فيقول: إذا أردتم الحديث في شأن محمد فتحدثوا سرًا حتى لا يسمع إله محمد ما تقولون فيخبر به محمدًا! قال الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [المُلك:١٣]. أي اعملوا ما شئتم واصنعوا ما بدا لكم: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ لا بالأقوال التي تنطق بها الألسنة وإنما عليم بخفايا الصدور التى لم تنطق بها .. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [المُلك:١٤] .

يا أبا جهل إن الله يدري كل ما تضمر *** يعلم ما تخفي وما تظهر

وإن خدعت الناس لم تستطع *** خداع من يطوي وينشر .

افتتحت الجلسة وطُرحت القضية على المجتمعين، فقام أحد الحاضرين في المجلس وقال: اقترح أن نخرجه من أرضنا، ونصلح أمرنا، ولا نبالي أين ذهب فإذا فارقنا كفينا شره .

لكن الشيخ النجدي قام معترضًا على هذا الاقتراح، وقال بئس الرأي ما رأيت ياهذا؟ إننا إذا نفينا محمدًا خارج مكة، فهو أينما حل وحيثما كان ستنتشر دعوته



إنكم ترون حسن حديثه وحلاوة لسانه وغلبته على قلوب الرجال.

فقام آخر وقال: أما أنا فاقترح أن توضع القيود في يد محمد وأن يحبس حتى يموت.

فقال الشيخ النجدي: والله لئن حبستموه ليخرجن أمره إلى أصحابه، وهم يفضلونه على الآباء والأبناء، وقد يأتي أهله من بني هاشم ليفكوا أسره، فانظروا في غير هذا الرأي.

اقتراحات فاشلة، وهنا قام الطاغية فرعون هذه الأمة أبو جهل فقال: إن لي فيه رأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعد، نأخذ من كل قبيلة رجلًا ويضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه، فيتفرق دمه بين القبائل، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلها، أو يقيموا له قصاصًا.

عندئذ هز الشيخ النجدي رأسه عجبًا وطربًا وقال: نعم الرأي رأيك يا أبا الحكم.

رأي عبقري ورأي صائب، يكفي أنه رأي أبي جهل ذلكم الرجل الذي لو وُزعت قسوة قلبه على أهل الأرض ما بقي للرحمة من سبيل في قلب أحد، كان أبوجهل إذا تكلم ترى الجهل كله في كلامه وترى الغشم في حديثه، رجل عشش الشيطان في رأسه .

بعد ذلك أخذت الأصوات على رأي أبي جهل فكانت النتيجة موافقة بالإجماع، الكل وافق على رأي أبي جهل، هذا الرأي الذي لم يخطر ببال إبليس نفسه، وعندئذ طويت الصحف وجفت الأقلام ورفعت الجلسة جلسة الغدر والدسيسة، ولم يكن في الجلسة آنذاك مندوب من قبل الرسول ﷺ ولكن كل ما حدث مدون في آية واحدة من كتاب الله قال تعالى:﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠].

ويقول سبحانه: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزُّخرُف:٧٩- ٨٠].

وينزل جبريل عليه السلام ويخبر الحبيب ﷺ بمؤامرة قريش ويخبره بالإذن له في الهجرة.





☑ بعد أن نزل جبريل عليه السلام على الحبيب ﷺ وأخبره بمؤامرة قريش ذهب الحبيب ﷺ إلى أبي بكر في نفس اليوم نحو الظهيرة حين يستريح الناس في بيوتهم،

وقال له: إن الله قد أذن لي في الخروج وطلب منه راحلتين للسفر.

فقال أبو بكر: (يا رسول الله الصحبة) قال: (نعم).

فبكى أبو بكر الصديق من شدة الفرح.



وهنا تأمل!! فموقف الصديق يأكد على أنه لم يعرف موعد الهجرة، أو أنه سوف يهاجر في صحبة الحبيب ﷺ؟



إنه الكتمان، (اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتْمَانِ لَهَا).

واستأجر عبد الله بن أريقط الليثي ليكون دليلًا لهما في الطريق، وكان هاديًا أمينًا ماهرًا بالطريق، رغم أنه كان على دين قريش.



وواعده جبل ثور بعد ثلاث ليال .



عبد الله بن أبي بكر بتتبع أخبار المشركين .

أسماء بنت أبي بكر بإحضار الطعام لهما.

عامر بن فهيرة برعي الأغنام حول الغار ليخفي آثارهما.

فجعل ﷺ دورًا للرجل وللمرأة وحتى للصبي.

ثـم اسـتمر الحبيـب ﷺ في أعمـاله اليوميـة حسـب المعتـاد، حـتى لا يشـعر أحـد بأنـه يسـتعد للهجـرة أو لأي أمـر آخـر اتقـاء ممـا قررتـه قريـش .

وفى نفـس اليـوم بالليـل يأمـر الحبيـب ﷺ على بـن أبى طالـب أن يبيـت في فراشـه، فانظـر إلى فـداء علي رضي الله عنه للحبيـب ﷺ كان علي رضي الله عنه يعلـم تمامًـا أنـه معـرض للقتـل لا محالـة، فـإن على البـاب رجـالًا لا يريـدون إلا رأس النائـم على الفـراش ورغـم ذلـك لـم يقلـق ولـم يـتردد.

ثـم أمـر ﷺ عليًّـا أن يـرد الودائـع والأمانـات إلى أصحابهـا، وياللعجـب مـن قـوم يكذبـون رجـلًا ثـم يأتمنونـه على أموالهـم وودائعهـم!!

وفي هذه الليلة يخرج الحبيـب ﷺ مـن بيتـه فيجـد المشركـين مجتمعـين أمـام بابـه يراقبونـه وينتظرونـه حـتى ينقضـوا عليـه ويقتلـوه، وهنـا تتجلى قـدرة الله فيرسـل عليهـم النـوم فلـم يشـاهدوا الحبيـب ﷺ وهـو خـارج، وتبـدأ رحلـة الهجـرة إلى يـثرب .

ومـضى الحبيـب ﷺ مـع أبي بكـر بعيـدًا، وكان أبو بكر يمـشي أمـام الحبيـب مـرة وخلفـه مـرة وعـن يمينـه مـرة وعـن يسـاره مـرة فتعجـب ﷺ فقـال: (مـا لـك يـا أبـا بكـر؟) فقـال: يـا رسـول الله أذكـر الطلـب - أي الكفـار الذيـن يطاردونـك - فأمـشي خلفـك ثـم أذكـر الرصـد - أي الجواسـيس الذيـن يرصدونـك ويُعـدون لـك الكمائـن - فأمـشي بـين يديـك فقـال له الحبيـب ﷺ: (يـا أبـا بكـر لـو كان هنـاك أذى ينتظـرني لأحببـت أن يكـون بـك دوني ؟) قـال أبـو بكـر: نعـم والذي بعثـك بالحـق، فلـئن قتلـت أنـا فإنمـا أنـا رجـل واحـد، ولـئن قتلـت أنـت ضاعـت الأمـة كلهـا.

ولمـا وصـلا إلى غار ثـور سـبق أبـو بكـر رسـول الله ﷺ، فنظـف الغـار ومسـحه بثوبـه، وأعـده لاسـتقبال الحبيـب ﷺ واختبئـا فيـه ثـلاث ليـال، ولقـد حفظتهـم عنايـة

الله من أعين المشركين عندما وصلوا إلى الغار فلم يستطيعوا رؤيته هو وصاحبه قال تعالى﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٤٠].

ثم أتى إليهما الدليل وسار في طريق غير طريق القوافل حتى وصل بأمان.

نجحت خطة الحبيب ﷺ للهجرة بسبب عدة عوامل وهي:

01 توفيق الله وعنايته بالحبيب ﷺ.

02 التخطيط الجيد للأمر.

03 السرية التامة.

04 اختيار القادرين على تنفيذ المهام.

وهنا يعلمنا الحبيب ﷺ الأخذ بالأسباب مع حسن التوكل على الله.

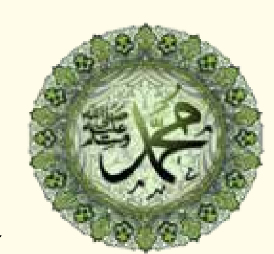
الحبيب ﷺ في المدينة



وفي المدينة كاد القلق يفتك بالمسلمين، فهم يترقبون وصول الحبيب ﷺ إنهم يخرجون كل يوم وليلة ينتظرون رسول الله ﷺ وأبا بكر، ثم يعودون، ودام ذلك أربعة أيام متتالية وفي اليوم الخامس وكان يوم الجمعة خرجوا ينتظرون رسول الله ﷺ وأبا بكر، ولا زالت الأوهام تطاردهم، فربما استطاع المشركون قتل رسول الله ﷺ أو العثور عليه، وبينما هم كذلك فإذا بيهودي كان على نخلة له، فرأى النبي ﷺ ، فنادى بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا نبيكم الذي تنتظرون، وارتفعت صيحات التكبير في كل مكان، أبواب البيوت تفتح ويخرج الرجال والنساء والأطفال الكل خرج ليرى النور المبين، وتختلط الدموع مع الضحكات، وتوجه الجميع نحو رسول الله ﷺ فإذا بالمؤمنين الذين رأوا رسول الله ﷺ بقلوبهم من قبل يرونه الآن بعيونهم، وأقبل بعض الأنصار الذين لم يروا رسول الله ﷺ على أبي بكر معتقدين أنه النبي فأمسك بعضهم بناقته

فـأدرك أبـو بكـر ذلـك فخلـع عباءتـه وظلـل بهـا على الحبيـب ﷺ ليدلهـم على رسـول الله ﷺ بـكل أدب وأخـلاق عاليـة .

ثـم سـاروا وكلمـا مـرّوا على بيـت مـن بيـوت الأنصارأمسـكوا بزمـام الناقـة، وقالـوا: هَلُـمَّ يـا رسـول الله إلى القـوة والمَنَعـة والسـلاح، فـكان يتمـنى كل واحـد منهـم لـو نـزل عنـده رسـول الله ﷺ .



والنـبي ﷺ بذوقـه العـالي وحكمتـه لا يحـب أن يغضـب أحـدًا فيقـول: (دَعُوهَـا فَإِنَّهَـا مَأْمُـورَةٌ) أي أنهـا تسـير بأمـر الله ولـن تقـف إلا في المـكان الذي أراده الله سـبحانه .



فلـم تـزل ناقتـه سـائرة، حـتى وصلـت إلى موضـع مسـجده اليـوم، فبركـت. ولـم يـنزل عنهـا، حـتى نهضـت وسـارت قليـلًا . ثـم رجعت وبركـت في موضعهـا الأول. فـنزل عنهـا. وذلـك في بـني النجـار، أخـواله ﷺ. وكان مـن توفيـق الله لهـا. فإنـه أحـب أن يـنزل على أخـواله يكـرمهـم. فجعـل النـاس يكلمونـه في الـنزول عليهـم . وبـادر أبـو أيـوب الأنصـاري إلى رحلـه، فأدخلـه بيتـه .

فجعـل رسـول الله ﷺ يقـول: (إِنَّ الرَّجُـلَ مَـعَ رَحْلِـهِ حَيْـثُ كَانَ) فـنزل الحبيـب ﷺ ضيفًاعليـه وكان مـنزله مـن طابقـين فاختـار الحبيـب الـنزول في الدَّوْرِ الأسـفل مـن دار أبي أيـوب ليكـون أريـح لزائريـه، ولكـن لـم يـرضَ أبـو أيـوب رضي الله عنه بذلـك كرامة لرسـول الله لمـا يمكـن أن يصيبـه مـن الـتراب الذي يُحْدِثـه وطء الأقـدام، فاعتـذر منـه ﷺ لأنـه سـيزوره أنـاس كثـيرون ويسـتحي مـن أن يمـروا على زوج الأنصـاري فأقـام ﷺ في الطابـق الأسـفلي وأهـل الأنصـار في الطابـق الأعلى لا يـكادون يحدثـون صوتًـا بأقدامهـم حرصًـا على راحـة النـبي ﷺ ومـن فـرط الحـذر كـسرت زوجـه جـرّة مـاء بالليـل فـكاد المـاء يتـسرب إلى أسـفل، فلـم تجـد غـير لحـاف لا يملكـون غـيره لتجفـف بـه المـاء خوفًـا أن يتـأذى بـه رسـول الله ﷺ وظـلا طيلـة الليـل البـارد بـلا غطـاء، حقًـا إنهـا محبـة تفـوق الخيـال .





بـدأت مرحلـة جديـدة للدعـوة الإسـلامية بدخـول الحبيـب ﷺ في المدينـة فقـد أصبح للمسـلمين مـكان آمـن يمارسـون فيـه شـعائر دينهـم دون خوف .

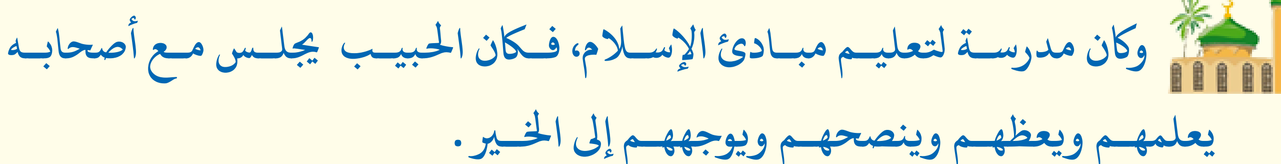
- بدأ الحبيب ﷺ في بناء المسجد النبوي حتى يكون مجتمعًا وملتقى لصحابة رسول الله ﷺ.

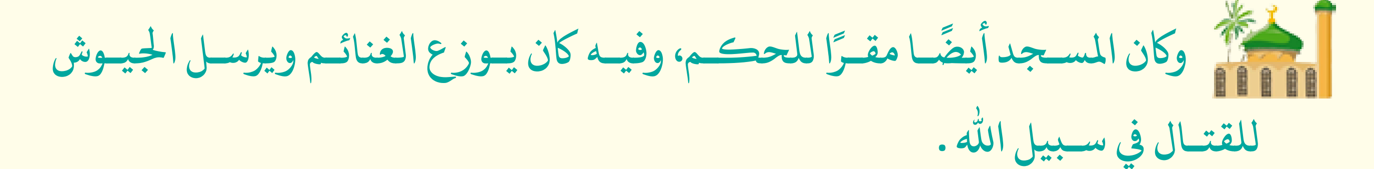
- وكان الحبيـب ﷺ يعمـل معهـم في بنـاء المسـجد فـكان يحمـل الأحجـار والطـوب حـتى امتـلأ جسـمه وشـعره بالـتراب وأبى إلا أن يسـاعدهم في تأسيسـه.

- انتـهى الحبيـب ﷺ مـن بنـاء المسـجد وكان الركـن الأول مـن أركان بنـاء دولـة الإسـلام:

فكان المسجد دارًا للعبادة، كالصلاة .




وكان مدرسة لتعليم مبادئ الإسلام، فكان الحبيب يجلس مع أصحابه يعلمهم ويعظهم وينصحهم ويوجههم إلى الخير.


وكان المسجد أيضًا مقرًا للحكم، وفيه كان يوزع الغنائم ويرسل الجيوش للقتال في سبيل الله.

ولما بنى الحبيب ﷺ المسجد لم يكن له منبر يخطب عليه فكان الحبيب ﷺ يخطب على جذع نخلة، فجاءت امرأة من الأنصار وكان لها ولد يعمل نجارًا، فاستأذنت رسول الله ﷺ في صنع منبر يخطب عليه ﷺ فصنع الغلام المنبر.

وفي الجمعة التالية وضع الصحابة الجذع جانبًا وجعلوا المنبر الجديد مكانه فصعد الحبيب ﷺ ليخطب عليه، فسمع أهل المسجد جميعًا صوتًا لجذع النخلة، كأنه صوت النَّاقة التي تلد، فنزل الحبيب ﷺ واحتضن الجذع فسكت الجذع فقد كان حزينًا لفراق الحبيب ﷺ.







وكما ربط الرسول ﷺ قلوب أصحابه بربهم، فإنه بعد ذلك ربط قلوبهم بعضها البعض على الحب في الله، والتعاون من أجل نصرة دين الله عز وجل.

فكان الركن الثاني من أركان بناء دولة الإسلام المؤاخاة[1] بين المهاجرين والأنصار.

المهاجرون: هم المسلمون من أهل مكة وغيرهم إذ أنهم هجروا بلادهم وتركوا ديارهم فرارًا بدينهم من أعداء الله ولم يكن للمهاجرين ديار أوأموال في المدينة.


الأنصار: هم المسلمون من أهل المدينة فهم الذين ناصروا الرسول وساعدوه.

وهذه الخطوة لاتقل أهمية عن الخطوة الأولى في بناء المسجد لكي يتلاحم المجتمع المسلم ويتآلف وليسود الحب والتعاون بين المسلمين.

وقد استقبل الأنصار إخوانهم المهاجرين استقبالًا طيبًا، وكانوا يتسابقون في

---

(١) المؤاخاة: هي أن يتعاقد الرجلان على التناصر والمواساة حتى يصيرًا كالأخوين نسبًا.

تفضيل المهاجرين عليهم في بيوتهم وأموالهم والدليل على ذلك ما حدث عندما آخى الرسول ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصاري.

فعن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ قَالَ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ[١].

ولقد أثنى الله عز وجل عليهم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

واستمر هذا الوضع حتى استقرت الأمور وتمكن المهاجرون من العمل، وهكذا قام المجتمع الإسلامي في المدينة على المحبة والإخاء من أول لحظة.

ثم غير الحبيب ﷺ اسم البلد من (يثرب) إلى (المدينة) وهذا أمر عظيم، فلو بقي الاسم القديم فإن ذلك يعني أنه للأوس والخزرج، ولكن تغير الاسم يشعر بأنها وطن جديد للجميع.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري ومسلم.

مبادئ التعايش مع الآخرين



كانت المؤاخاة التي عقدها رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في المدينة أساسًا لتقوية المسلمين، وتوكيدًا لوحدتهم وألفتهم وضمانًا لحياة كريمة صافية، وعيشة راضية.

وكان اليهود يقيمون بجوار المسلمين في المدينة وهم يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، وكان هؤلاء اليهود أعداء للأوس والخزرج - الأنصار قبل أن يدخلوا الإسلام- فلما دخلوا الإسلام وقوي أمرهم بمجيء إخوانهم المهاجرين ازدادت عدواتهم وحقدهم عليهم.

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [المائدة:٨٢].

فكان من سياسة الرسول ﷺ وحسن تدبيره أن يبدأ هؤلاء اليهود بالمودة، ويبسط لهم يد الأخوة، ويتفق معهم على التضامن والتعاون حتى تكون المدينة كلها صفًّا واحدًا وقوة واحدة، وحتى لا يطمع في المدينة طامع وينال منها عدو.

وقد كتب الرسول ﷺ معاهدة بين فيها حقوق المسلمين وواجباتهم وحقوق اليهود وواجباتهم .

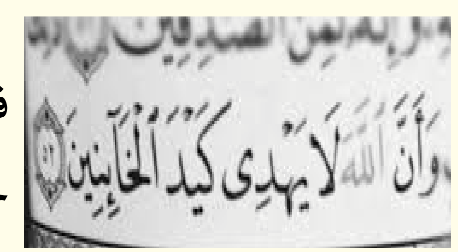
وكان أساس هذه المعاهدة الأخوة في السلم، والدفاع عن المدينة وقت الحرب، والتعاون التام بين الفريقين إذا نزلت شدة بأحدهما أو كليهما.

وأن اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، ومن ظلم أو أَثِمَ منهم؛ فإنه لا يهلك إلا نفسه وأهل بيته، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأن ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد ﷺ وأن بينهم النصر على من دهم يثرب، وأن من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن بر واتقى.

وقد دلت هذه المعاهدات الجلية على سمو تفكير الحبيب ﷺ وحسن سياسته، فهي تقرر حرية العقيدة، وحرية الرأي، وحرمة المدينة، وتحرم الجرائم، وتحارب الظلم والإثم، وقد وضعها رسول الله ﷺ منذ قرابة أربعة عشر قرنًا من الزمان،

ولكن لا تزال إلى هذا العصر الذي نعيش فيه نبراسًا يهتدي به الساسة والقادة إذا اضطربت الأمور وأظلم السبيل.

ولا شك أن هذه المعاهدات الخالدة كانت ذات أثر كبير في تقوية عزائم المسلمين، وحفظ المدينة من مطامع المشركين المعتدين، ولولا أن اليهود غدروا وخانوا العهد والمواثيق، وبدأوا بالعدوان على المسلمين، لما وقف رسول الله ﷺ والمسلمون منهم موقف العداء، ولظلت المدينة يغمرها الوئام والصفاء.



ولكن اليهود غدروا وخانوا وبدأوا بالعدوان، فرد الرسول ﷺ والمسلمون على إساءتهم وظلمهم بما جعلهم عبرة أمام القرون والأجيال، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل:٣٣].

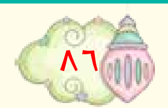




وبين المسلمين واليهود كان فريقٌ ثالث اختار أن يكون منافقًا، أي يُظهر الإيمان ويُخفي الكفر، ولم يكن في مكة منافقون لأن المسلمين كانوا ضعفاء لا يخاف أحد منهم، ولكن بعد هجرة الحبيب ﷺ إلى المدينة أصبح للإسلام قوة تدافع عنه، وكانت هذه القوة مرهوبة، لهذا كان أعداء الإسلام في المدينة هم الضعفاء ولا يجرءون على الحديث إلا سرًّا، كانوا يقولون كل ما في نفوسهم فيما بينهم فإذا حضر أحد من المسلمين غيروا مجرى الحديث وتظاهروا بحب النبي ﷺ والمسلمين.

هؤلاء هم المنافقون، كانوا من أشد الأعداء خطرًا على المسلمين لأنهم يتظاهرون بالإسلام،

ويجلسون بين صفوف المسلمين ويعرفون أسرارهم، ولكنهم على علاقة بالكفار وينقلون إليهم أسرار المسلمين .



وقد بين الله للمسلمين صفات المنافقين حتى يحذروهم، ومن هذه الصفات:

- الكسل عن الصلاة وتأخيرها عن وقتها.
- الخوف من القتال والجبن في الميدان.
- الكذب في الحديث.
- عدم تحمل المسئولية.
- إظهار الشماتة بالمسلمين إذا أصابتهم مصيبة والحزن إذا أصابهم خير.









كان الحبيب ﷺ في الخامسة والخمسين من عمره الشريف.

ظل الحبيب ﷺ في مكة عشر سنوات كاملة يصبر على أذى المشركين وكان يأمر أصحابه بالصبر، وتحمل الأذى في سبيل الله.

وقد هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة وتركوا أملاكهم وأموالهم وديارهم للنجاة بدينهم، وأطفأ الحبيب ﷺ نيران الحرب التى دامت أكثر من أربعين سنة بين الأوس والخزرج، وبذل ما في وسعه من أجل نشر الإسلام بالحب والرفق والرحمة والسلام، ولم يلجأ الحبيب ﷺ إلى الحروب والغزوات إلا بعد أن حالت قريش بينه وبين نشر دعوته وآذته وآذت أصحابه ودبرت المؤامرات تلو المؤامرات لقتله ولهدم دعوته، وللصد عن سبيل الله، وهنا جاء الإذن من عند الله

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٩].

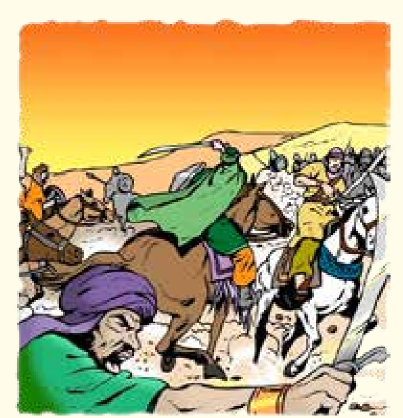
وقال تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠].

ففرض القتال على المسلمين، فقد صارت الحرب ضرورة لمقاومة كل من يسعى للقضاء على هذا الدين أو الوقوف أمام نشر فضائله ومبادئه السمحة بين الناس جميعًا.

والمعركة التى خاضها المسلمون بقيادة النبي ﷺ ضد المشركين تسمى (غزوة) وهدفها الدفاع عن الدين وحماية ونشر مبادئه بين الناس جميعًا.

أما التى جرت في حياته ﷺ ولم يشترك فيها، فكانت تسمى (السرية) وهدفها إضعاف قوة قريش الاقتصادية ليكفوا كيدهم وعدائهم وتحريضهم لليهود على رسول الله ﷺ وأصحابه بالمدينة.

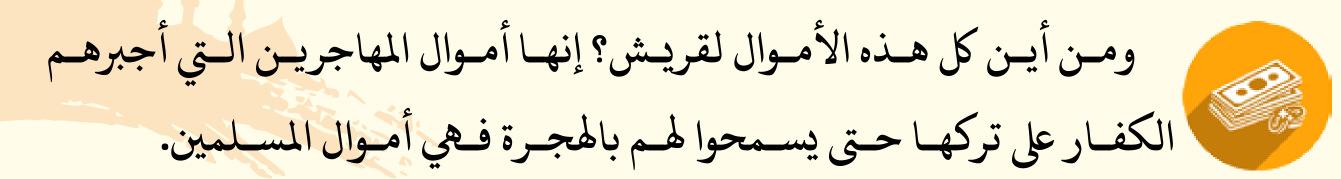
غزوة بدر الكبرى



يظنُّ البعض أن غزوة بدر هي أولى غزوات الحبيب ﷺ وهذا خطأ، بل كانت (الأبواء) هي أول غزوة، ولكن غزوة بدر تعد أولى المعارك الفاصلة في الإسلام، وبداية المواجهات الحاسمة بين قريش والمسلمين، وكانت في شهر رمضان من السنة الثانية بعد الهجرة.

أولًا: سبب الغزوة:

وصلت الأنباء إلى المدينة أن قافلة ضخمةً لقريش عائدةً من الشام إلى مكة تحمل لأهلها الثروة الطائلة، يقودُها أبو سفيان بنُ حربٍ مع رجالٍ لا يزيدون عن الثلاثين أو الأربعين.



ومن أين كل هذه الأموال لقريش؟ إنها أموال المهاجرين التي أجبرهم الكفار على تركها حتى يسمحوا لهم بالهجرة فهي أموال المسلمين.

فأراد الرسول ﷺ أن يقطع الطريق على هذه القافلة ليستعيد أموال المسلمين المسلوبة، وأن يضرب قريشًا ضربة اقتصادية تقصم ظهورهم؛ لأنهم بهذه الأموال يستعينون بها على محاربة الإسلام والمسلمين.

رسائل

وأراد الحبيب ﷺ أن يرسل رسالة لقريش أنه يستطيع قطع الطريق عليهم، فيخلون بينه وبين تبليغ دعوته للناس، ولم يعزم الحبيب ﷺ على أحدٍ بالخروج، بل ترك الأمر للرغبة المطلقة، ثم سار بمن أمكنه الخروج.

ثانيًا: أحداث الغزوة

خرج الحبيب ﷺ ومعه ٣١٣ مقاتلًا منهم ٨٢ أو٨٦ من المهاجرين وبقيتهم من الأنصار، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان: فرسٌ للمقداد بن الأسود، وفرسٌ للزبير بن العوام، وسبعون بعيرًا يتبادل الرجلان والثلاثة على البعير الواحد، حتى رسول الله ﷺ كان له زميلان يتبادلان بعيرًا.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا يوم بدرٍ كل ثلاثةٍ على بعير، وكان أبو لبابة وعليٌّ بن أبي طالبٍ زميلي رسول الله ﷺ قال: وكانت عقبةُ النبي ﷺ (أي: جاء دورة ليمشي).



فقال أبو لبابة وعليُّ بن أبي طالب: يا رسول الله نحن نمشي عنك - ليظل راكبًا-.

وهنا تتجلى القيادة الحكيمة، والمساواة بين القائد وجنوده .

فقال ﷺ: (مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي، وَلاَ أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الأَجْرِ مِنْكُمَا) .

وعندما علم أبوسفيان خروج المسلمين لأخذ القافلة، قرر تغيير الطريق الذي سيسلكه إلى طريق آخر، حتى ينجو من مواجهة جيش المسلمين، وأرسل رجلًا اسمه ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة يستنجد أهلها حتى يسارعوا إلى استنقاذ أموالهم.

واستطاع (ضمضم) هذا إزعاج البلدةِ كلها، فقد وقف على بعيره بعد أن قطع أنفهُ، وشق قميصه، وصرخ كما تصرخ النساء: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة! أموالكم مع أبي سفيان قد تعرض لها محمدٌ وأصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث، الغوث! .

فخرجت مكة كُلها تريد حرب المسلمين وهزيمة رسول الله ﷺ، ولم يبق في مكة إلا أبو لهب عم الرسول ﷺ الذي ظل كافرًا وعدوًا للمسلمين، فأرسل رجلًا بدلًا منه، وبلغ عدد المشركين ٩٥٠ مقاتلًا، معهم ٢٠٠ فرسٍ ومعهم- المغنيات يضربن بالدف، ويغنين بهجاء المسلمين.

ولما رأى أبو سفيان أنه قد نجا بالقافلة، كتب إلى قريش فأخبرهم وطلب منهم العودة فوصلهم الخبرُ وهم بالجحفةَ. فهمُّوا بالرجوع؛ إلا أن أبا جهل فرعون الأمة أصرَّ على الخروج والوصول إلى بدر، قائلًا: والله لا نرجع حتى نأتي بدرًا فنقيم عليها ثلاثًا، فنذبح الإبل، ونُطعم الطعام، ونُسقى الخمر، وتعزف علينا الجواري، حتى تسمع بنا العرب فلا يزالون يخافوننا أبدًا، ومضت قريش في مسيرها مستجيبة لرأي أبي جهل حتى نزلت بالعدوة القصوى من وادي بدرٍ.

أهمية الشورى في الإسلام:

نقلت الاستخبارات الإسلامية خبرين في منتهى الأهمية:

1. الخبر الأول: هروب القافلة،
2. الخبر الثاني: جيش مكة على مقربة من بدر.

فالوضع خطير جدًا، وإعداد المسلمين كان قويًا جدًا بالنسبة لقافلة تجارية، لكن لاشك أنه ضعيف جدًا بالنسبة لجيش نظامي خرج مستعدًا للقتال، فلا يوجد سوى اختيار من اثنين:


إما الرجوع إلى المدينة وتجنب القتال.


وإما التقدم إلى بدر والصدام المروع.

كان النبي ﷺ لا يريد الرجوع إلى المدينة؛ لأن الرجوع له آثار سلبية كبيرة، سيشجع الكفار على التمادي في الحرب على المسلمين، فكلما رجع المسلم خطوة احتلها عدوه، ولا يستبعد مطلقًا إذا رجع الجيش المسلم أن يستمر الجيش المكي في المسير ويغزو المدينة، وعندئذ سيكون الخطر أكبر، لكن الرسول ﷺ ليس قائدًا ديكتاتوريًا كأبي جهل.

فالقائد الديكتاتوري يبرز فهمه دائمًا لمن يقودهم، والذين من حوله يحاولون أن يفهموه أن رأيه فقط هو الرأي الصحيح، وأنه يفهم في كل شيء؛ لذلك فعليه ألا يضيع وقته ووقت شعبه في الاستشارات، لكن الرسول ﷺ لم يكن كذلك، فمع أنه أحكم البشر كان يستشير أمته في كل القضايا التي لم ينزل فيها وحي، فإذا كان هناك أمر من الله في قضية من القضايا فإنه لا يجوز للمسلمين أبدًا أن يتشاوروا في تطبيق الأمر من عدمه، وإذا لم يكن هناك أمر من الله فلابد من الشورى، وهكذا فعل الحبيب ﷺ فقد عقد مجلسًا استشاريًا كبيرًا تبادل فيه الرأي ليس فقط مع قادة الجيش ولكن مع عامة الجيش، فقام المستشار الأول لرسول الله ﷺ أبو بكر الصديق وأيد الحرب ضد الكافرين، وكذلك قام المستشار الثاني

عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال نفس الكلام، ثم قام المقداد بن عمرو رضي الله عنه وقال كلامًا رائعًا علق عليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قال: شهدت من المقداد بن عمرو مشهدًا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به، قال: يا رسول الله! امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك حتى نبلغه.

محمد سُرَّ الرسول سرورًا عظيمًا بكلام المقداد، ولكن ما زال يطلب الاستشارة ويقول: أَشِيرُوا عليَّ أَيُّهَا النَّاسُ! ، وقد كان الرسول ﷺ في مواقف كثيرة يكتفي باستشارة أبي بكر وعمر، ويقول: لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما، لكن هنا ما زال ينتظر استشارة الأنصار، فإنه لم يسمع رأي الأنصار بعد، فالأنصار قبل ذلك في المدينة أعلنوا موافقتهم على الخروج معه للقافلة، لكن الآن ليس هناك قافلة، وإنما قتال مع جيش كبير، والرسول ﷺ يعلم أنه لو أمر الأنصار لأطاعوه فورًا، فهم في أعلى درجات الإيمان -رضي الله عنهم أجمعين-.

لكـن الرسـول يذكـر بيعـة العقبـة الثانيـة، وفيهـا بايـع الأنصـار على نـصرة الرسـول ﷺ إذا قـدم إليهـم في المدينـة، ولـم يبايعـوه على الحـرب خـارج المدينـة، والأمـر ليـس فيـه تكليـف إلـهي الآن فيسـمع الجميع ويطيع، ولكن فيه الشـورى، والرسـول ﷺ لا يريـد أن يكـره الأنصـار على القتـال، فشـتان بـين مـن يقاتـل وهـو مكـره، ومـن يقاتـل وهـو راغـب في الجهـاد، ولا ننـسى أن الأنصـار ثلثـا جيـش المسـلمين، فهـذا الطلـب المتكـرر للاستشـارة: أَشِـيرُوا عليَّ أَيُّهَـا النَّـاسُ! أَشِـيرُوا عليَّ أَيُّهَـا النَّـاسُ!، لفـت نظـر سـيد الأنصـار سـعد بـن معـاذ رضي الله عنه وكان حامـل لـواء الأنصـار حينهـا، فقـام وقـال: لكأنـك تريدنـا يـا رسـول الله؟! قـال رسـول الله ﷺ: أَجَـلْ، قـال سـعد: فقـد آمنـا بـك وصدقنـاك، وشـهدنا أن مـا جئـت بـه هـو الحـق، وأعطينـاك على ذلـك عهودنـا ومواثيقنـا على السـمع والطاعـة، فامـض يـا رسـول الله! لمـا أردت فنحـن معـك فـوالذي بعثـك بالحـق لـو اسـتعرضت بنـا هـذا البحـر فخضتـه لخضنـاه معـك مـا تخلـف عنـك رجـل واحـد، فـسر على بركـة الله، فـسرّ بذلـك رسـول الله ﷺ فقـال: سِـيرُوا وَأَبْـشِرُوا، فَـإِنَّ اللهَ تَعَـالَى قَـدْ وَعَـدَنِي إِحْـدَى الطَّائِفَتَـيْنِ، واللهِ لَـكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُـرُ إِلَى مَصَـارِعِ الْقَـوْمِ [١].

(١) مصارع: أي مكان موتهم.



خطة الحبيب ﷺ

نظم الحبيب ﷺ جنده بعد أن رأى طاعة الصحابة وشجاعتهم واجتماعهم على القتال، وخرج ﷺ ومعه أبو بكر يستكشفان أحوال جيش المشركين، وبينما هما يتجولان في تلك المنطقة لقيا شيخًا من العرب، فسأله رسول الله ﷺ عن جيش قريش، وعن محمد وأصحابه، فأراد ﷺ أن يأخذ من الرجل الأخبار دون أن يعرفه شخصيته الحقيقية، ولكن الشيخ اشترط عليهما أن يخبراه من أين هما؟، فقال له رسول الله ﷺ (إذا أخبرتنا أخبرناك) فقال: أو ذاك بذاك؟ قال: (نعم) فقال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به جيش المسلمين، وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي فيه جيش المشركين فعلًا، ثم قال الشيخ: لقد أخبرتكما عما أردتما، فأخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: (نحن من ماء)، ثم انصرف

النبي ﷺ وأبو بكر عن الشيخ، وبقي هذا الشيخ يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟ ولكن الحبيب ﷺ كان يقصد الماء الذي هو أصل كل شيء حي .

وفي مساء ذلك اليوم الذي خرج فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر، أرسل عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والزبير بن العوام رضي الله عنه، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يستطلعون له الأخبار عن جيش قريش، فوجدوا غلامين يستقيان لجيش المشركين فأتوا بهما إلى رسول الله ﷺ فقال لهما: (أخبراني عن جيش قريش) فقالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، فقال لهما رسول الله ﷺ: (كم القوم؟) قالا: كثير، قال: (ما عدتهم؟) قالا: لا ندري، قال الرسول ﷺ: (كم ينحرون كل يوم؟) قالا: يومًا تسعًا ويومًا عشرًا، فقال رسول الله ﷺ: (القوم ما بين التسعمائة والألف)، ثم قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟ فذكرا عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا جهل وأمية بن خلف في آخرين من صناديد قريش، فأقبل رسول الله ﷺ إلى أصحابه قائلًا:

هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها.





قبل ساحة المعركة

نـزل الحبيـب ﷺ على أقـرب مـاء مـن بـدر، وعـرض الأمـر على الصحابـة فجـاء إليـه الحبـاب بـن منـذر بـن الجمـوح وقـال: يـا رسـول الله أرأيـت هـذا المـنزل، أمـنزلًا أنزلكـه الله تعـالى، ليـس لنـا أن نتقدمـه ولا نتأخـره، أم هـو الـرأى والحـرب والمكيـدة؟

قـال رسـول اللهﷺ: بـل هـو الـرأى والحـرب والمكيدة.



قـال: يـا رسـول الله هـذا ليـس بمـنزل، فامـض بالنـاس، حـتى تـأتى أدنى مـاء مـن القـوم (قريـش) فتـنزله ونغـور (نهـدم ونخـرب) مـا وراءه مـن الآبارثـم تبـنى عليـه حوضًـا فتمـلأه مـاء، ثـم تقاتـل القـوم، فنـشرب ولا يشربـون. اختـار النبى ﷺ ذلـك المـنزل، وأخـذ بـرأى الحبـاب بـن المنـذر.



مقر القيادة

بعد نزول النبي ﷺ والمسلمين معه على أدنى ماء بدر من المشركين، اقترح سعد بن معاذ على رسول الله ﷺ بناء عريش[١] له يكون مقرًا لقيادته ويأمن فيه من العدو، وكان مما قاله سعد في اقتراحه: (يا نبي الله ألا نبني لك عريشًا تكون فيه ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام، يا نبي الله، ما نحن بأشد لك حبًا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، ويناصحونك، ويجاهدون معك) فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له بخير، ثم بنى المسلمون العريش لرسول الله ﷺ .

---

(١) العريش :شيء يشبه الخيمة يستظل به وكان من جريد.

ساعة الصفر وبداية المعركة:

كانت الحروب قديمًا تبدأ بالمبارزة بالسيف، فخرج ثلاثة من خيرة فرسان قريش كانوا من عائلة واحدة، وهم عتبة وأخوه شيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وطلبوا المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من شباب الأنصار، فقال المشركون: نريد بني عمنا، فخرج عبيدة بن الحارث، وحمزة، وعلي، فقتل حمزة شيبة وقتل علي الوليد، وبقي عبيدة يقاتل عتبة فضرب كل منهما الآخر، فكرعلي وحمزة على عتبة فقتلاه وحملا عبيدة فإذا به يموت شهيدًا بعد ذلك من آثار هذه الضربة.

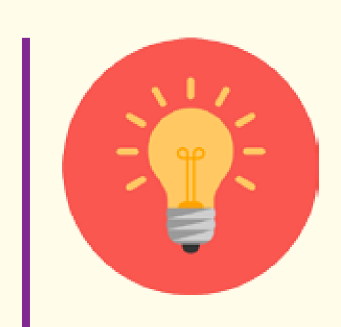
الهجوم العام ودعاء النبيّ ﷺ على قريش:

والتقى بعد ذلك الجمعان وشعار المسلمين أحدٌ أحدٌ.

نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا فاستقبل نبي الله القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه (اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ) فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه

وقـال: يـا نـبي الله كفـاك مناشـدتك ربـك فإنـه سـينجز لـك مـا وعـدك. [رواه مسلم:١٧٦٣]

قـال العلمـاء: لا يجـوز أن يتوهّـم أحـد أنّ أبـا بكـر رضي الله عنه كان أوثـق بربّـه مـن النّبي في تلـك الحالـة وغيرهـا، بـل الحامـل له على ذلـك تقويـة قلـوب أصحابـه، لأنّهـم كانـوا يعلمـون أنّـه شـفيع مشـفّع، مسـتجاب الدّعـوة، وكان ذلـك اليـوم أوّل مشـهد شـهدوه، فبالـغ في الدّعاء لتسـكن نفوسـهم، فلمّـا قـال أبـو بكـر مـا قـال، علـم أنّـه قـد اعتقـد إجابـة الدّعاء، ووقـوع النّـصر، فخـرج النّـبيّ ﷺ. والله أعلـم.



وهـذا درس ربـاني مهـم لـكل قائـد أو حاكـم أو فـرد في التجرد مـن النفـس وحظهـا، واللجـوء لله وحـده، وبعـد أن دعا ﷺ ربـه في العريـش، واسـتغاث بـه خـرج مـن العريـش، وإذا بالملائكـة تـنزل لتحـارب في صفـوف المسـلمين ضـد المشركـين.

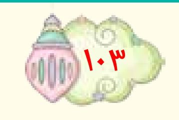
فـنزل جبريل عليه السلام ومعـه ألف من الملائكة كما قـال تعالى ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩].

نلاحظ أن الرسول ﷺ أخذ بالأسباب المادية والمعنوية وتوكل على الله فكان النصر والتأييد من الله تعالى، فقد اجتمع في بدر الأخذ بالأسباب بالقدر الممكن مع التوفيق الرباني في تهيئة جميع أسباب النصر.



وكان من نتائج الغزوة هلاك أئمة الكفر:

فقد قتل المسلمون سبعين رجلًا من بينهم أئمة الكفر.



خريطة غزوة بدر الكبرى

جيش المسلمين
٣١٣

عريش الرسول ﷺ

موقع ماء

ميدان المعركة

إلى المدينة

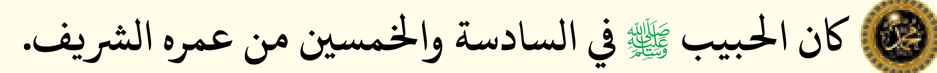
إلى مكة المكرمة

جيش المشركين
١٠٠٠

ثم وقعت غزوة بني قينقاع بعد غزوة بدر وأُجلي بنو قينقاع من اليهود لغدرهم وخيانتهم وما فعلوه مع المرأة المسلمة من كشف سوءتها وضحكهم فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله فقتل اليهود الرجل المسلم فحاصرهم النبي ﷺ وأجلاهم.







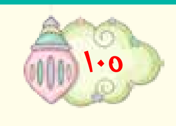
كان الحبيب ﷺ في السادسة والخمسين من عمره الشريف.

وفى شوال من السنة الثالثة بعد الهجرة وقعت غزوة أحد .

أولًا: سبب الغزوة:

كانت مكة تحترق غيظًا مما أصابها في معركة بدر من مأساة الهزيمة ، فأرادت الانتقام، واتفقت قريش على أن تقوم بحرب شاملة ضد المسلمين، تشفي غيظها، وتروي غلة حقدها، وأخذت في الاستعداد للمعركة، وخصصت قافلة أبي سفيان التي نجت من المسلمين، وربا حها لتجهيز جيشهم .





ثانيًا: أحداث الغزوة:

خرجت قريش برجالها ونساءها بقيادة أبي سفيان بن حرب بجيش يقدر بـ ٣٠٠٠ مقاتل للقضاء على المسلمين وتحركوا نحوالمدينة حتى نزلوا قريبًا من جبل أحد.

الاستخبارات النبوية تكشف حركة العدو:

وكان العباس بن عبد المطلب يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية، فلما تحرك هذا الجيش بعث العباس رسالة مستعجلة إلى النبي ﷺ ضمنها جميع تفاصيل الجيش.



وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة، وجدّ في السير حتى إنه قطع الطريق بين مكة والمدينة - التي تبلغ مسافتها إلى خمسمائة كيلو مترًا - في ثلاثة أيام، وسلم الرسالة إلى النبي ﷺ.



خرج الحبيب ﷺ إلى الناس وخيّرهم بين الخروج لملاقاتهم وقتالهم، والبقاء في المدينة، وكان رأيه ﷺ ألا يخرجوا من المدينة حتى يستفيدوا من حصونها، فإن دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه السكك والنساء من فوق البيوت.

فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته بدر وأشاروا على رسول الله ﷺ بالخروج. وألحوا عليه، فنهض ﷺ ودخل بيته ولبس لباس الحرب وخرج عليهم

فقالوا: استكرهنا رسول الله ﷺ على الخروج.

ثم قالوا: إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل فقال ﷺ: (مَا يَنْبَغِي لِنَبِيّ إذَا لَبِسَ لَأْمَته أَنْ يَضَعَهَا حَتّى يُقَاتِلَ) .

البداية:

خرج الحبيب ﷺ من المدينة بألف مقاتل، لكن انسحب رأس النفاق عبد الله بن أبي سلول بثلاثمائة مقاتل في منتصف الطريق، وقد أدى انسحاب ثلث الجيش إلى اهتزاز الروح المعنوية للمسلمين.

فنزل قول الله تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠].

وخطط الحبيب ﷺ للمعركة واختار خمسين راميًا للوقوف على جبل يشرف على أرض المعركة، وأمرهم بألا يتحركوا من أماكنهم في حالة النصر أو الهزيمة إلا بأمره.

وعند بداية المعركة أخذ الحبيب ﷺ سيفه وقال: (مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا) فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول أنا أنا. قال: (فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ) فقال: أبو دجانة أنا آخذه بحقه. [رواه مسلم: ٢٤٧٠]

والتقى النّاس، ودنا بعضهم من بعض، واقتتل الناس حتّى حميت الحرب، وقاتل أبو دجانة الذي أخذ السيف من رسول الله ﷺ ووعده بأنّه يأخذه بحقّه، حتى

أمعن في الناس، وجعل لا يلقى أحدًا إلا قتله وقاتل حمزة بن عبد المطّلب قتالًا شديدًا، لا يقف أمامه شيء، وكان وحشيّ غلام جبير بن مطعم له بالمرصاد، فقد وعده جبير بالعتق إن قتل حمزة، وقد قتل عمّه طعيمة يوم بدر، وكانت هند تحرّضه كذلك على قتل حمزة، وحمل وحشيّ على حمزة بحربته، فدفعها عليه حتّى خرجت من بين رجليه، فوقع شهيدًا .

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتّى قتل، وأبلى المسلمون بلاءً حسنًا، وكانت الغلبة كما هو معلوم أول الأمر للمسلمين، ثم إن الرماة عصوا النبي ﷺ وتركوا أماكنهم فانقلب الوضع وتغير الحال واستغل خالد بن الوليد هذه الثغرة فأصبح الأمر لهم، فبعدم تمسّك بعض الرماة بتعاليم الرسول ﷺ وأمره إلى اللّحظة الأخيرة، وإخلائهم للجبهة التي عيّنهم رسول الله ﷺ عليها انكسر جيش المسلمين، وبدأ المسلمون يتلقون طعنات من الخلف. قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٢].

وحينئـذ انكشـف المسـلمون ودخلهـم الرعـب، وأخـذ المسـلمون يقتتلـون على غـير شـعار أو هـدى، وأوجـع المشركـون في المسـلمين قتـالًا شـديدًا، حـتى خلـص إلى رسـول الله ﷺ فـرمي بالحجـارة حـتى رمي لشـقه، وأصيبـت رَبَاعِيَّتَـهُ (السّـن المجـاورة للنّـاب) وشـجّ في وجهــه، وجعـل الدم يسـيل على وجهـه فيمسـحه وهـو يقـول: (كَيْـفَ يُفْلِـحُ قَـوْمٌ شَـجُّوا نَبِيَّهُـمْ، وَكَـسَرُوا رَبَاعِيَتَـهُ، وَهُـوَ يَدْعُوهُـمْ إِلَى اللّهِ؟)، وجـاءت فاطمـة -رضي الله عنهـا- تغسـل عنـه الدم وعليّ يسـكب المـاء بِالْمِجَـنِّ (الـتِّرس)، فلمـا رأت أن المـاء لا يزيـد الدم إلّا كـثرة أخـذت قطعـة حصـير فأحرقتـه حـتى صـار رمـادًا ثـم ألصقتـه بالجـرح فاستمسـك، وأثنـاء ذلـك شـاع في النـاس أن رسـول الله ﷺ قـد قتـل[١].

روائع من الحبّ والفداء:

ولمّا أشيع مقتل النبي ﷺ نزلت هذه الإشاعة كالصاعقة على المسلمين، فبدأوا يرمون السلاح ويفرون نحو المدينة، ولكن أنس بن النّضر، عم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ تقدّم، فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أين يا أبا عمرو؟ فقال أنس: واها لريح الجنّة، يا سعد إني أجدها دون أحد، وانتهى أنس بن النّضر إلى رجال من المهاجرين

(١) متفق عليه: رواه البخاري ،ومسلم.

والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ. قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا وموتوا على ما مات عليه رسول الله، ثمّ استقبل القوم، فقاتل حتى قتل، يقول أنس رضي الله عنه: لقد وجدنا به يومئذ سبعين ضربة، فما عرفه أحد إلا أخته. ودافع طلحة بن عبيد الله بيده، يقي بها النبيّ ﷺ فأصيبت أنامله وشلّت يده.

وترّس أبو دجانة بنفسه دون رسول الله ﷺ تقع النّبال في ظهره وهو منحن عليه، حتّى كثر فيه النبل. ورمى سعد بن أبي وقّاص دون رسول الله ﷺ ويناوله النبيّ ﷺ النبل ويقول: (ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي).

وكان عمرو بن الجموح رجل أعرج شديد العرج، وكان له أربعة أبناء شباب، يغزون مع رسول الله ﷺ فلمّا توجّه إلى أحد أراد أن يخرج معه، فقال له بنوه: إنّ الله قد جعل لك رخصة، فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد.

وأتى عمرو رسول الله ﷺ فقال: إنّ بنيّ هؤلاء يمنعوني أن أخرج معك، ووالله إنّي لأرجو أن أستشهد، فأطأ بعرجتي هذه في الجنّة، فقال له رسول الله ﷺ: أمّا أنت فقد وضع الله عنك الجهاد، وقال لبنيه: وما عليكم أن تدعوه، لعلّ الله يرزقه الشهادة، فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أحد شهيدًا.

أمـا سـعد بـن الرّبيـع فيقول عنـه زيد بن ثابـت : بعثني رسـول الله ﷺ يـوم أحد أطلب سـعد بـن الرّبيـع، فقـال لي: إن رأيته فأقرئه منّي السـلام وقـل له: يقول لك رسـول الله ﷺ: كيـف تجـدك؟ قـال: فجعلـت أطـوف بـين القتـلى، فأتيتـه وهـو بأخر رمـق، وفيه سـبعون ضربـة مـا بـين طعنـة برمح وضربـة سـيف، ورمية سـهم فقلـت: يا سـعد! إنّ رسـول الله يقـرأ عليـك السـلام، ويقـول لـك: أخبرني كيـف تجدك؟ فقـال: وعلى رسـول الله السـلام، وقـل له: يـا رسـول الله! أجـد ريـح الجنّة، وقل لقـومي الأنصـار: لا عذر لكم عنـد الله إن خلـص إلى رسـول الله ﷺ وفيكـم عـين تطرف، وفاضت نفسـه مـن وقته(١) .

عودة المسلمين إلى مركزهم:

ولمّـا عـرف المسـلمون رسـول الله ﷺ نهضـوا بـه، ونهـض معهـم نحـو الشّـعب، وأدركه أبيّ بــن خلف.

وهـو يقـول: أي محمـد لا نجـوت إن نجـوت، فقـال رسـول الله ﷺ: دعـوه ، فلمّـا دنـا تنـاول رسـول الله ﷺ الحربـة مـن أحـد أصحابـه، ثـم اسـتقبله وطعنـه في عنقـه طعنـة تقلّـب بهـا عـن فرسـه مـرارًا.

(١) زاد المعاد: (٢/ ٣٥٣).

ولمّـا أراد أبـو سـفيان الانـصراف، أشرف على الجبـل، ثـمّ صرخ بـأعلى صوتـه: إنّ الحرب سـجال، يـوم بيـوم، اعـل هبل.

فقال النبيّ ﷺ: قم يا عمر، فأجبه.

فقل: الله أعلى وأجلّ، لا سواء، فقتلانا في الجنّة وقتلاكم في النار.

قال أبو سفيان: لنا العزّى ولا عزّى لكم.

قال النبيّ ﷺ: أجيبوه .

قالوا: ما نقول؟.

قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم .

ولمّـا انـصرف، وانـصرف المسـلمون، نـادى: إنّ موعدكـم بـدر للعـام القابـل، فقـال رسـول الله ﷺ لرجـل مـن أصحابـه: قـل نعـم، هـو بيننـا وبينكـم موعـد .

وفــزع النّــاس لقتلاهــم، وحــزن رســول الله ﷺ على حمــزة، وكان عمّــه وأخــاه مــن الرضاعــة، والمقاتــل دونــه.



تربية نفوس المسلمين

وقد كان ما وقع في أحد من محنة للمسلمين، تمحيصًا وتربية لهم، فلا ثقة بجماعة عاشت على سرور انتصار، ونشوة الفتح، وحلاوة الظفر، ولم تذق مرارة المصائب والخسائر، فإنّها إذا أصيبت بذلك في يوم من الأيام، عزّ ذلك عليها واضطرب إيمانها، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ [آل عمران:١٥٣].

وقد هيّأ الله نفوس المسلمين في هذه المعركة، لتتلقّى نبأ وفاة رسول الله ﷺ وشهادته، وإن تأخّر ذلك، والثبات على العقيدة، والدعوة إليها والجهاد في سبيلها والوفاء لها في حياته، وبعد حياته، فلا يجبنون ولا يتخاذلون، ولا يهينون، فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ﴾ [آل عمران:١٤٤].

ولكم أن تتخيلوا مخالفة أمر واحد للنبي ﷺ هزمت المسلمين عن بكرة أبيهم، فما بالكم بعشرات المخالفات لأوامره ﷺ في حياتنا. **ولو انتصر** المسلمون بعد مخالفتهم للنبي ﷺ لتهاونوا في طاعة أمره ﷺ بعد ذلك.

خريطة غزوة أحد

غزوة الأحزاب (الخندق)

السنة الثامنة عشرة من البعثة والخامسة بعد الهجرة



كان الحبيب ﷺ في الثامنة والخمسين من عمره الشريف.

وقعت فى السنة الخامسة من الهجرة غزوة الأحزاب .

أولًا: سبب الغزوة:

لما رأى اليهود انتصار المشركين يوم أحد، خرج أشرافهم - كسلام بن أبي الحقيق- وغيره إلى قريش بمكة يحرضونهم على قتال الرسول ﷺ ووعدوهم من أنفسهم النصر لهم. فأجابتهم قريش. ثم خرجوا إلى غطفان: فاستجابوا لهم ثم طافوا في قبائل العرب يدعونهم إلى ذلك فاستجاب لهم من استجاب.



ثانيًا: أحداث الغزوة:

خرجت قريش وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف مقاتل . ووافقهم بنو سليم بمر الظهران، وبنو أسد، وفزارة وأشجع وغيرهم. حتى بلغ عدد المشركين عشرة آلاف مقاتل.

مشاورة النبيّ ﷺ أصحابه:

فلما سمع رسول اللهِ ﷺ بمسيرهم إليه استشار أصحابه. فأشار عليه سلمان الفارسي بفكرة جديدة، وهي حفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة. فأعجب الرسول الله ﷺ بذلك، فبادر إليه المسلمون. وعمل ﷺ فيه بنفسه. وكان في حفره من آيات نبوته ما قد تواتر الخبر به.

وَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الخَنْدَقِ، فَإِذَا المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالجُوعِ، قَالَ: (اللَّهُمَّ إِنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ)، فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ:



نَحْـنُ الَّذِيـنَ بَايَعُـوا مُحَمَّـدَا *** عَلَى الجِهَـادِ مَـا بَقِينَـا أَبَـدَا(١)

وَعَـنْ الْـبَرَاءِ رضي الله عنه قَـالَ: رَأَيْـتُ رَسُـولَ الله ﷺ يَـوْمَ الْأَحْـزَابِ يَنْقُـلُ الـتُّرَابَ وَقَـدْ وَارَى الـتُّرَابُ بَيَـاضَ بَطْنِـهِ وَهُـوَ يَقُـولُ: (لَـوْلَا أَنْـتَ مَـا اهْتَدَيْنَـا، وَلَا تَصَدَّقْنَـا وَلَا صَلَّيْنَـا، فَأَنْزِلَـنْ سَـكِينَةً عَلَيْنَـا، وَثَبِّـتْ الْأَقْـدَامَ إِنْ لَاقَيْنَـا، إِنَّ الْأُلَى قَـدْ بَغَـوْا عَلَيْنَـا، إِذَا أَرَادُوا فِتْنَـةً أَبَيْنَـا)(٢).

إنه التواضع والعدالة والمساواة بين القائد وأفراد جيشه.

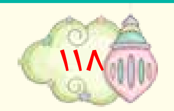
وكان عدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل جعلوا الجبل خلفهم والخندق أمامهم .

ولمّـا فرغـوا مـن الخنـدق وأقبلـت جمـوع الأحـزاب في عـشرة آلاف، وأحاطـوا بـ (المدينـة) مـن جميـع جهاتهـا، واشـتدّ الحصـار على المسـلمين، كمـا قـال الله تعـالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب:١٠- ١١]. لجئ الحبيب ﷺ إلى ربه يدعوه ويقول:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاريّ ومسلم.

(٢) متفق عليه: رواه البخاريّ ومسلم.



(اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ)[١] .

وعندما رأت قريش وحلفاؤها الخندق قالوا: إنها مكيدة ما عرفتها العرب من قبل، ففرضوا الحصار على المسلمين واستمر شهرًا كاملًا ولم يكن بين القوم قتال إلّا الرّمي بالنّبل والحصى، فأوقع الله بينهم التّخاذل.



وانضم يهود بني قُريظة إلى المشركين ناقدين بذلك العهد الذي كان بينهم وبين الحبيب فاشتد الحصار على المسلمين عدو من الداخل، وآخر من الخارج .

واستمر ذلك الوضع حتى أتى النصر من عند الله حيث أرسل الله عليهم في ظلمة شديدة من اللّيل ريحًا شّديدة، في برد شديد، فأسقطت خيامهم، وأطفأت نيرانهم وزلزلتهم، حتّى جالت خيولهم بعضها في بعض في تلك الظّلمة، وقذف الله في قلوبهم الرعب فعادوا إلى بلادهم خائبين.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاريّ ومسلم.

خريطة غزوة الأحزاب (الخندق)

قوات الكفار
وعددهم (6000)

قوات قريش
وعددهم
(4000)

(كنانة وبني فزارة وأشجع وبني سليم
وبي مرة وبني أسد وبقية الأحزاب)

جبل أحد

حرة جبل واقم
صخور تمثل حصنا طبيعيا

الخندق

طوله 300 متراً وعرضه من 7 : 10 متراً.
وعمقه من 5:3 متراً.

المسلمون
وعددهم
(3000)

حرة جبل وبرة
صخور تمثل حصنا طبيعيا

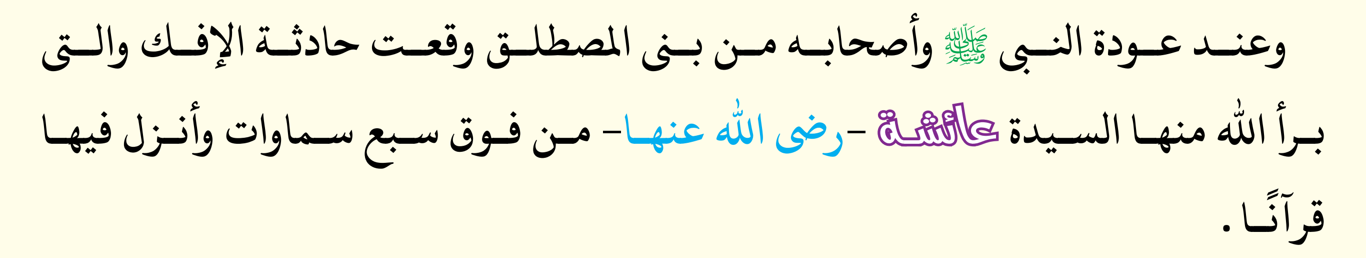
المدينة







كان الحبيب ﷺ في التاسعة والخمسين من عمره الشريف.



وعند عودة النبى ﷺ وأصحابه من بنى المصطلق وقعت حادثة الإفك والتى برأ الله منها السيدة عائشة -رضى الله عنها- من فوق سبع سماوات وأنزل فيها قرآنًا .

فتعالوا بنا لنعرف القصة كاملة من أُمنا عائشة -رضى الله عنها- قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا، أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذَلِكَ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي

هَـوْدَجِي، وَأُنْـزَلُ فِيـهِ مَسِـيرَنَا حَـتَّى إِذَا فَـرَغَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ مِـنْ غَـزْوِهِ، وَقَفَـلَ، وَدَنَوْنَـا مِـنَ الْمَدِينَـةِ، آذَنَ لَيْلَـةً بِالرَّحِيـلِ فَقُمْـتُ حِـينَ آذَنُـوا بِالرَّحِيـلِ، فَمَشَـيْتُ حَـتَّى جَـاوَزْتُ الْجَيْـشَ، فَلَمَّـا قَضَيْـتُ مِـنْ شَـأْنِي أَقْبَلْـتُ إِلَى الرَّحْـلِ، فَلَمَسْـتُ صَـدْرِي فَـإِذَا عِقْـدِي مِـنْ جَـزْعِ ظَفَـارِ قَـدِ انْقَطَـعَ، فَرَجَعْـتُ فَالْتَمَسْـتُ عِقْـدِي فَحَبَسَـنِي ابْتِغَـاؤُهُ وَأَقْبَـلَ الرَّهْـطُ الَّذِيـنَ كَانُـوا يَرْحَلُـونَ لِي فَحَمَلُـوا هَـوْدَجِي فَرَحَلُـوهُ عَلَى بَعِـيرِيَ الَّذِي كُنْـتُ أَرْكَـبُ وَهُـمْ يَحْسِـبُونَ أَنِّي فِيـهِ، قَالَـتْ: وَكَانَـتِ النِّسَـاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًـا، لَـمْ يُهَبَّلْـنَ وَلَـمْ يَغْشَـهُنَّ اللَّحْـمُ، إِنَّمَـا يَأْكُلْـنَ الْعُلْقَـةَ مِـنَ الطَّعَـامِ، فَلَـمْ يَسْـتَنْكِرِ الْقَـوْمُ ثِقَلَ الْهَـوْدَجِ حِـينَ رَحَلُـوهُ وَرَفَعُـوهُ، وَكُنْـتُ جَارِيَـةً حَدِيثَـةَ السِّـنِّ، فَبَعَثُـوا الْجَمَـلَ وَسَـارُوا، وَوَجَـدْتُ عِقْـدِي بَعْدَمَـا اسْـتَمَرَّ الْجَيْـشُ، فَجِئْـتُ مَنَازِلَهُـمْ وَلَيْـسَ بِهَـا دَاعٍ وَلَا مُجِيـبٌ، فَتَيَمَّمْـتُ مَـنْزِلِي الَّذِي كُنْـتُ فِيـهِ، وَظَنَنْـتُ أَنَّ الْقَـوْمَ سَـيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُـونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَـا أَنَـا جَالِسَـةٌ فِي مَـنْزِلِي غَلَبَتْـنِي عَيْـنِي فَنِمْـتُ، وَكَانَ صَفْـوَانُ بْـنُ الْمُعَطَّـلِ السُّـلَمِيُّ مِـنْ وَرَاءِ الْجَيْـشِ فَادَّلَـجَ، فَأَصْبَـحَ عِنْـدَ مَـنْزِلِي فَـرَأَى سَـوَادَ إِنْسَـانٍ نَائِـمٍ، فَأَتَـانِي فَعَرَفَـنِي حِـينَ رَآنِي، وَقَـدْ كَانَ يَـرَانِي قَبْـلَ الْحِجَـابُ، فَاسْـتَيْقَظْتُ بِاسْـتِرْجَاعِهِ حِـينَ عَرَفَـنِي، فَخَمَّـرْتُ وَجْـهِي بِجِلْبَـابِي، وَوَاللهِ مَـا يُكَلِّمُـنِي كَلِمَـةً وَلَا سَـمِعْتُ مِنْـهُ كَلِمَـةً غَـيْرَ اسْـتِرْجَاعِهِ، حَـتَّى أَنَـاخَ رَاحِلَتَـهُ،

فَوَطِـئَ عَلَى يَدِهَـا فَرَكِبْتُهَـا، فَانْطَلَـقَ يَقُـودُ بِيَ الرَّاحِلَـةَ، حَـتَّى أَتَيْنَـا الْجَيْـشَ، بَعْدَمَـا نَزَلُـوا مُوغِرِيـنَ فِي نَحْـرِ الظَّهِـيرَةِ، فَهَلَـكَ مَـنْ هَلَـكَ فِي شَـأْنِي، وَكَانَ الَّذِي تَـوَلَّى الإِفْـكَ عَبْـدُ اللهِ بْـنُ أُبَيٍّ ابْـنُ سَـلُولَ، فَقَدِمْنَـا الْمَدِينَـةَ فَاشْـتَكَيْتُ، حِـينَ قَدِمْنَـا الْمَدِينَـةَ شَـهْرًا، وَالنَّـاسُ يُفِيضُـونَ فِي قَـوْلِ أَهْـلِ الإِفْـكِ، وَلَا أَشْـعُرُ بِشَيْءٍ مِـنْ ذَلِـكَ، وَهُـوَ يَرِيبُـنِي فِي وَجَـعِي أَنِّي لَا أَعْـرِفُ مِـنْ رَسُـولِ اللهِ ﷺ اللُّطْـفَ، الَّذِي كُنْـتُ أَرَى مِنْـهُ حِـينَ أَشْـتَكِي، إِنَّمَـا يَدْخُـلُ رَسُـولُ اللهِ ﷺ فَيُسَـلِّمُ، ثُـمَّ يَقُـولُ: (كَيْـفَ تِيكُـمْ؟) فَـذَاكَ يَرِيبُـنِي، وَلَا أَشْـعُرُ بِالـشَّرِّ، حَـتَّى خَرَجْـتُ بَعْدَمَـا نَقَهْـتُ وَخَرَجَـتْ مَـعِي أُمُّ مِسْـطَحٍ قِبَـلَ الْمَنَاصِـعِ، وَهُـوَ مُتَبَرَّزُنَـا، وَلَا نَخْـرُجُ إِلَّا لَيْـلًا إِلَى لَيْـلٍ وَذَلِـكَ قَبْـلَ أَنْ نَتَّخِـذَ الْكُنُـفَ قَرِيبًـا مِـنْ بُيُوتِنَـا، وَأَمْرُنَـا أَمْـرُ الْعَـرَبِ الْأُوَلِ فِي التَّـنَزُّهِ، وَكُنَّـا نَتَـأَذَّى بِالْكُنُـفِ أَنْ نَتَّخِذَهَـا عِنْـدَ بُيُوتِنَـا، فَانْطَلَقْـتُ أَنَـا وَأُمُّ مِسْـطَحٍ، وَهِيَ بِنْـتُ أَبِي رُهْـمِ بْـنِ الْمُطَّلِـبِ بْـنِ عَبْـدِ مَنَـافٍ، وَأُمُّهَـا ابْنَـةُ صَخْـرِ بْـنِ عَامِـرٍ، خَالَـةُ أَبِي بَكْـرٍ الصِّدِّيـقِ، وَابْنُهَـا مِسْـطَحُ بْـنُ أُثَاثَـةَ بْـنِ عَبَّـادِ بْـنِ الْمُطَّلِـبِ، فَأَقْبَلْـتُ أَنَـا وَبِنْـتُ أَبِي رُهْـمٍ قِبَـلَ بَيْـتِي، حِـينَ فَرَغْنَـا مِـنْ شَـأْنِنَا، فَعَـثَرَتْ أُمُّ مِسْـطَحٍ فِي مِرْطِهَـا، فَقَالَـتْ: تَعِـسَ مِسْـطَحٌ فَقُلْـتُ لَهَـا: بِئْـسَ مَـا قُلْـتِ، أَتَسُـبِّينَ رَجُـلًا قَـدْ شَـهِدَ بَـدْرًا، قَالَـتْ: أَيْ هَنْتَـاهْ أَوْ لَـمْ تَسْـمَعِي مَـا قَـالَ؟ قُلْـتُ: وَمَـاذَا قَـالَ؟ قَالَـتْ: فَأَخْبَرَتْـنِي

بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: (كَيْفَ تِيكُمْ؟) قُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ فَوَاللّٰهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ قُلْتُ: سُبْحَانَ اللّٰهِ وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، وَدَعَا رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللّٰهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: (أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ؟) قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ

عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: (يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي) فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ -، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ، قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي

اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللهِ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: (أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ) قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا قَالَ فَقَالَ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونَنِي وَإِنِّي، وَاللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨] قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا، وَاللهِ

حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ، وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ ﷻ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا، **قَالَتْ:** فَوَاللهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ ﷻ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، **قَالَتْ:** فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: (أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ) **فَقَالَتْ لِي أُمِّي:** قُومِي إِلَيْهِ، **فَقُلْتُ:** وَاللهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي، **قَالَتْ:** فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النور:١١] عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي، **قَالَتْ:** فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَمْرِي (مَا عَلِمْتِ؟ أَوْ مَا رَأَيْتِ؟) فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَعَصَمَهَا اللهُ بِالْوَرَعِ، وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ[١].

وكان حسان رضي الله عنه ممن قيل عنه إنه يتكلم مع أهل الإفك فقال يعتذر إلى عائشة. ويمدحها:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنّ بِرِيبَةٍ *** وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

عَقِيلَةُ حَيّ مِنْ لُؤَيّ بْنِ غَالِبٍ *** كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ

مُهَذّبَةٌ قَدْ طَيّبَ اللهُ خِيمَهَا *** وَطَهّرَهَا مِنْ كُلّ سُوءٍ وَبَاطِلِ

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْت الّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ *** فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إلَيّ أَنَامِلِي

وَكَيْفَ وَوُدّي مَا حَيِيتُ وَنُصْرَتِي *** لِآلِ رَسُولِ اللهِ زَيْنُ الْمَحَافِلِ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاريّ ومسلم.

وكانت عائشة لا ترضى أن يذكر حسان بشيء يكرهه وتقول إنه الذي يقول:

فإن أبي، ووالدتي، وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء.

فهذه الحادثة على ما فيها من الشدة والألم ففيها من الدروس والعبر والتربية للأمة ما لا يعلمه إلا الله ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور:١١].

فعندما تسمع كلاًا عن شخص ما، ضع حاجزًا بين قلبك وأذنيك:

﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور:١٢].







وفى ذى القعدة سنه ست من الهجرة عزم الحبيب ﷺ على زيارة بيت الله الحرام فأحرم النبى ﷺ وأحرم أصحابه فبلغ قريش خروج النبى ﷺ وكانوا ألفًا وأربعمائة، فخرجت قريش لتمنع النبى ﷺ فنزل النبى ﷺ بمكان يسمى **الحديبية** وبدأت قريش تبعث سفرائها ثم أرسل النبى ﷺ بعثمان بن عفان رضي الله عنه فاحتبسته قريش عندها وأشيع أن قريشًا قتلت عثمان بن عفان فقام النبى ﷺ فى أصحابه معلنًا عزمه على قتال قريش ودعا النبى ﷺ الناس إلى البيعة فمدوا جميعًا أيديهم وبايعوا تحت شجرة على الموت وعلى ألا يفروا عند لقاء العدو، وكانت بيعة هامة، لأن المسلمين بلا سلاح، وسميت ببيعة الرضوان، وبعد البيعة بقليل تبين أن عثمان لم يقتل وخافت قريش فبعثت بسهيل بن عمرو وتم توقيع صلح الحديبية، وكان من شروطه:

- أن تهدأ الحرب بين الطرفين عشر سنوات .
- يؤجل دخول المسلمين إلى مكة للعام القادم .
- من أراد أن يدخل في حلف محمد ﷺ دخل فيه (مثل خزاعة) ومن أراد أن يدخل في حلف قريش دخل فيه .
- من أتى إلى قريش من المسلمين لا ترده، ومن أتى إلى محمد من قريش رده إليهم.

أهمية صلح الحديبية:

كان هذا الصلح فتحًا مبينًا على المسلمين حيث بدأ الحبيب ﷺ في إرسال الرسل إلى الملوك ورؤساء العالم يدعونهم إلى الإسلام .

بدأت مرحلة نشر الدعوة عالميًا ومواجهة كل من يقف أمام تبليغها ونشر فضائلها بين الناس جميعًا.



السنة الحادية والعشرون من البعثة والثامنة بعد الهجرة

 كان الحبيب ﷺ في الحادية والستين من عمره الشريف.

نحن الآن في السنة الثامنة للهجرة وها هي غزوة الفتح وقعت وسببها أن قريشًا نقضت صلح الحديبية وحاربت مع قبيلة بني بكر ضد قبيلة خزاعة المتحالفة مع المسلمين.

ويبدو أن خزاعة لم تكن مستعدة للقتال بدليل أنهم لما شعروا بأن بني بكر يطاردونهم دخلوا الحرم فتبعهم بنو بكر؛ ثم وقفوا لا يقدرون على دخوله تعظيمًا له، فقالت خزاعة لزعيم بني بكر نوفل بن معاوية الوائلي، يا نوفل: إلهك إلهك.

فقال نوفل: لا إله اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم، أفلا تصيبوا ثأركم فيه.

وبذلك نقضت قريش عهدها مع المسلمين وركب عمرو بن سالم إلى المدينة ليخبر الحبيب ﷺ بما حدث.

فقال له الحبيب ﷺ: نصرت يا عمرو بن سالم.

وبعد أن استشار ﷺ أصحابه واتفق رأيهم على الخروج إلى مكة، أمر أصحابه أن يأخذوا القوم على غرة قبل أن يستعدوا للحرب والقتال.

وقد أراد الرسول ﷺ لأهل مكة الخير لأنهم لن يقدروا على مواجهة هذا الجيش الكبير، ولكي يستسلموا، ويحقنوا دمائهم، فليس المراد أن يتشفى منهم، وإنما أراد أن يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربه .

غير أن الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة أرسل كتابًا إلى قريش يحذرهم من قدوم رسول الله ﷺ وأنه سيأخذهم على حين غفلة من أمرهم، فجاء الوحي وأخبر رسول الله ﷺ.

فحاطب كتب إلى هؤلاء المشركين يُخبرهم بسر رسول الله ﷺ، وهو سر عسكري حربي يتعلق بجيش النبي ﷺ وأصحابه، وهذا في المقاييس والمعايير الدولية إلى يومنا هذا يُعد من الخيانة العُظمى، فقد أفشى الخُطط العسكرية، للعدو.

فقال النبي ﷺ: يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَا تعجل عليَّ، إني كنتُ امرأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ - يعني: كان حليفًا لهم ولم يكن منهم، كان من أهل اليمن- وكان مَن معك من المُهاجرين مَن لهم قرابات يحمون بها أهليهم، فأحببتُ إذا فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عندهم يدًا يحمون قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ"، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ؟ فَقَالَ: "إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ" [رواه البخاري ومسلم].

هنا وضحت المسألة فقد أراد الرجل أن تكون له حظوة عند الكفار فإذا قامت الحرب، فلا يقتلون أهله الذين ما زالوا في مكة، ولا شك أن هذا خطأ في تقدير الحسابات لأن الكفار لا يفكرون بهذا المنطق، لأن الله لك قال:

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة: ٨] فهم لا يتورعون إذا غلبوا المسلمين أن يقتلوهم ولا يبقوا منهم أحدًا، ولكن تاريخ الرجل، وحسن نيته كانا كفيلان بالعفو عنه.

ودخل النبي ﷺ مكة فى عشرة آلاف مسلم، وفي الطريق أسلم العباس عم النبي ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث ابن عم رسول الله ﷺ، وأسلم كذلك عبد الله بن أمية ابن عمة الرسول ﷺ، وأسلم كذلك حكيم بن حزام، وأبو سفيان بن حرب، ولم يبخس النبي ﷺ حقهم في المكانة والرياسة فقال لهم يوم الفتح، من دخل دار أبي سفيانٍ فهو آمنٌ، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه، فهو آمن.

فهرع الناس إلى دورهم وأغلقوا الأبواب عليهم وهم ينظرون من شقوقها وثقوبها إلى جيش المسلمين.

وفي يوم الفتح أيضًا أمر الرسول ﷺ العباس أن يقف مع أبي سفيان عند الثنية التي سيدخل منها جيش المسلمين، فدخل الزبير بن العوام ومن معه، ثم دخل خالد بن الوليد من أسفل مكة، ثم تتابعت القبائل ومعها الرايات

والأعـلام وأبـو سـفيان ينظـر إلى هـذه الجمـوع الـتي لا قبـل لقريـش بهـا ويقـول للعبـاس، يـا عبـاس: لقـد أصبـح ملـك ابـن أخيـك عظيمًـا .

فقال له العباس: إنها النبوة يا أبا سفيان.

أمـا الرسـول ﷺ فقـد دخـل مكـة يـوم الفتـح خافضـة رأسـه، مسـبحًا، ومعظمًـا لله الذي نـصره، وأعـزه، وهـزم الأحـزاب وحـده، ولـم يأمـر الرسـول ﷺ بقتـل أحـد إلا عبـد الله بـن خطـل، الذي كان يهجـو الرسـول ﷺ بالشـعر.

واستسـلمت مكـة، وأخـذ المسـلمون يهتفـون في جنبـات مكـة وأصواتهـم تشـق عنـان السـماء: الله أكبر.. الله أكبر.

وتوجـه ﷺ إلى المسـجد الحـرام وهـو يقـرأ سـورة الفتـح حـتى بلغ البيـت فطاف سـبعًا واسـتلم الحجـر الأسـود وكان حـول البيـت ثلاثمائـة وسـتون صنمًـا فجعـل يطعـن بعـود فى يـده وهى تتسـاقط وهـو يقـول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:٨١] ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ:٤٩]. هـذه الأصنـام كان مـن الممكن أن تسـقط في السـابق ولكـن الله أراد أن يعملـوا ويجاهـدوا ثـم ينصرهـم في آخـر المطاف.

وعفا النبي ﷺ عن أهل مكة.

لقد أوضح فتح مكة الكثير من الدروس ومنها:

١. حرص الرسول ﷺ على حقن الدماء، فلقد أراد أن يدخل مكة قبل يستعدوا لقتاله في معركة غير متكافئة من جانبهم، وهذا درس للمظلوم إذا مكنه الله من استرداد حقه فلا يدفعه حقه من الانتقام من الآخرين والبطش بهم، بل عليه أن يعفو ويصفح.

٢. درس العفو من القائد، ومن الرئيس للمرؤوس إذا حدث منه خطى لا يقصده طالما أن نيته سليمة، ولم يتعمد الخطأ، وللأسف هناك صنف من المسؤولين لا يركزون إلا على الأخطاء التافهة فيجعلون من يعملون تحت أيديهم في هم وغم دائم فينعكس ذلك في النهاية على أدائهم وإنتاجهم.

٣. على القائد وقت نصره أن ينزل الناس منازلهم، فلا ينزع السلطة إلا من ظالم ولا يتعداه إلى غيره.

٤. الحـق يحتـاج إلى قـوة تحميـه، ولـن يحـترم العالـم أمـة ضعيفـة قطعـت أوصالهـا الخلافـات والـنزاعات والنظـرات الفرديـة .

٥. كن متسامحًا مع الناس، أحسن إليهم حتى وإن أساءوا إليك، واجعل

قدوتـك في ذلـك محمـدا ﷺ كذبـه قومـه، واتهمـوه، وضيقـوا عليـه، وطـردوه مـن وطنـه، واسـتهزءوا بـه، وبدعوتـه، وبأتباعـه، فلمـا تمكـن منهـم، وقـدر عليهـم (عفـى عنهـم).





غزوة حنين

شوال العام الثامن للهجرة

بعد أن فتح المسلمون مكة انزعجت القبائل المجاورة لقريش من انتصار المسلمين على قريش.

وفزعت هوازن وثقيف من أن تكون الضربة القادمة من نصيبهم، وقالوا: لنغزُ محمدًا قبل أن يغزونا، واستعانت هاتان القبيلتان بالقبائل المجاورة.

وقرروا أن يكون مالك بن عوف سيد بني هوازن قائد جيوش هذه القبائل التي ستحارب المسلمين.

وأمر رجاله أن يصطحبوا معهم النساء والأطفال والمواشي والأموال ويجعلوهم في آخر الجيش، حتى يستميت الرجال في الدفاع عن أموالهم وأولادهم ونسائهم.

لما علم الحبيب ﷺ بذلك خرج إليهم مع أصحابه، وكان عدد المسلمين اثنى عشر ألفًا من المجاهدين، وعدد الكفار عشرون ألفًا.

ونظـر المسـلمون إلى جيشـهم الكبـير فاغـترُّوا بالكـثرة، وقالـوا: لـن نغلـب اليـوم مـن قِلَّـةٍ .

وبلـغ العـدوَّ خـبرُ خـروج المسـلمين إليهـم فأقامـوا كمينًـا لهـم عنـد مدخـل وادي أوطـاس، قـرب الطائـف .

وأقبـل الرسـول ﷺ في أصحابـه حـتى نزلـوا بالـوادي، وكان الوقـت قبيـل الفجـر، والظـلام يخيِّـمُ على وادي حنـين .

وفـوجيء المسـلمون بوابـل مـن السـهام تنهـال عليهـم مـن كل مـكان، فطـاش صوابهـم، واهـتزَّت صفوفهـم، وفـرَّ عـددٌ منهـم .

ولما رأى الرسول ﷺ هزيمة المسلمين نادى فيهم:



أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِبْ [رواه البخاري ومسلم].

فما استطاع أحد من الكفار أن يخرج له، مع أنه هو المطلوب ﷺ.

وأمـر الرسـول ﷺ العبـاس أن ينـادي في النـاس، فقـال: يـا معـشر الأنصـار، ويـا معشر المهاجريـن، يـا أصحـاب الشـجرة، فأجابـوه: لبيـك يـا رسـول الله لبيك .



وانتظم الجيش مرةً أخرى، واشتد القتال، وأشرف الرسولُ ﷺ على المعركة .

وما هي إلا ساعة حتى انهزم المشركون، وولوا الأدبار، تاركين النساء والأموال .

وعـرف العـرب ألا طاقـة لهـم بحـرب رسـول الله ﷺ ولا عداوتـه، فدخلـوا في ديـن الله أفواجًـا .

وكانـت حنـين درسًـا اسـتفاد منـه المسـلمون، فتعلَّمـوا أن النـصرَ ليـس بكـثرة العـدد والعُـدَّة .





السنة الثانية والعشرون من البعثة والتاسعة بعد الهجرة



كان الحبيب ﷺ في الثانية والستين من عمره الشريف.

ثم بدأ النبي ﷺ باستقبال الوفود ويبعث العمال ويبث الدعاة .

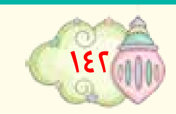


وفى أواخـر شـهر ذي القعـدة مـن هـذه السـنة خـرج أبـو بكـر الصديـق بـإذن الرسـول ﷺ أمـيرًا على الحـج.



وفى هـذه السـنة ٩هـ تـوفى إبراهيـم ابـن الرسـول ﷺ وهـو ابـن ثمانيـة عـشر شـهرًا ودفـن بالبقيـع .

وفيهـا طلـع جبريـل على النـبى ﷺ والنـاس حـوله فى المسـجد فى صـورة رجـل وسـأل النـبى ﷺ عـن الإيمـان والإحسـان .



حَجّة الوَداع

السنة الثالثة والعشرون من البعثة والعاشرة بعد الهجرة

 كان الحبيب ﷺ في الثالثة والستين من عمره الشريف.

وفى هذه السنة تتابع قدوم وفود عديدة على الرسول ﷺ .

 وفى هـذه السـنة أعلـن الحبيـب ﷺ بقصـده للحـج فقـدم المدينـة بـشر كثـير كلهـم يلتمـس أن يأتـم برسـول الله ﷺ.

 وفى يـوم السـبت لخمـس بقـين مـن ذى القعـدة تهيـأ الحبيـب ﷺ للرحيـل وانطلق بعــد الظهر .

 وفي طريقه للحج جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه وفد من قبيلة همدان إحدى قبائل اليمن يريدون الحج معه بعد أن أسلموا، ولما رآهم رسول الله ﷺ قال لهم: (جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ) [١].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري، ومسلم.



 ودخل الحبيب ﷺ مكة وشاء الله أن يرى رسوله ﷺ ثمار دعوته، التي عانى في سبيلها ألوانًا من المتاعب بضعًا وعشرين عامًا، فيجتمع في أطراف مكة بأفراد قبائل العرب وممثليها، فيأخذوا منه شرائع الدين وأحكامه، ويأخذ منهم الشهادة على أنه أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة.

فاجتمع حوله ﷺ جموع لا يعلمها إلا الله تعالى قيل كانوا مائة ألف وأربعة وعشرين أو أربعة وأربعين ألفًا من الناس يموج حول رسول الله ﷺ بالتلبية والتكبير والتسبيح والتحميد، تدوي له الآفاق، وترتج له الأرجاء .

فقام فيهم خطيبًا، فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله، وقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قَالُوا يَوْمٌ حَرَامٌ قَالَ فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ قَالَ فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا قَالُوا شَهْرٌ حَرَامٌ قَالَ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فَأَعَادَهَا مِرَارًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ فَلْيُبْلِغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ) [رواه البخاري: ١٧٣٩].



فكانت هذه الكلمات في خطبة الوداع وهي من وصاياه ﷺ في آخر حياته.

لكل من يتكلم في الناس وأعراض النساء.

لكل من يتكلم في لحوم العلماء.

لكل من يأكل أموال الناس بالباطل.

لكل من يقتل الأبرياء .

السنة الحادية عشرة بعد الهجرة

١١ هجرية

وأول أحداث سنه ١١ من الهجرة بعث ﷺ أسامة بن زيد بجيش إلى الشام وبينما الجيش يستعد للخروج إذا برسول الله ﷺ يبتدئ مرضه الذى قُبض فيه فوقف الجيش فى انتظار شفاء الحبيب ﷺ .



قبل وفاة الحبيب ﷺ كانت حجة الوداع، وبعدها نزل قول الله عز وجل: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣] .

وقبل وفاة الحبيب ﷺ بتسعة أيام نزلت آخر آية من القرآن :﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[البقرة:٢٨١] .

بداية المرض:



وفى اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنه ١١ه بدأ الوجع يظهر علي الحبيب ﷺ **فقال:** أريد أن أزور أهل البقيع فذهب إليهم ووقف علي قبورهم وقال:

السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ .

وأثناء رجوعه من الزياره بكي رسول الله ﷺ قالوا ما يبكيك يا رسول الله ؟
قال: (وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا). قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ).

فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: (أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ). قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: (فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلاَ لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلاَ هَلُمَّ. فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا) [رواه مسلم: ٢٤٩].

وعاد الحبيب ﷺ وهو فى الطريق أخذه صداع فى رأسه وارتفعت درجة الحرارة فى جسده ﷺ فدخل على عائشة فوجدها تقول: وارأساه . فقال: (بَلْ أَنَا وَاللهِ يَا عَائِشَةُ وَارْأَسَاهُ).

وصلى بالناس وهو مريضٌ ١١ يومًا .



الأسبوع الأخير

بـدأ الوجـع يشـتد عليـه ﷺ وكان في بيـت السـيدة ميمونـة، **فقـال:** اجمعـوا زوجـاتي، فجمعـت الزوجـات، **فقـال الحبيـب ﷺ:** أتأذنـون لي أن أمـرض في بيـت عائشـة ؟ **فقلـن:** أذن لـك يـا رسـول الله .

فـأراد أن يقـوم فمـا اسـتطاع فجـاء علي بـن أبي طالـب والفضـل بـن العبـاس فحمـلا النـبي ﷺ وخرجـوا بـه مـن حجـرة السـيدة ميمونـة إلى حجـرة السـيدة عائشـة فـرآه الصحابـة على هـذا الحـال لأول مـرة.

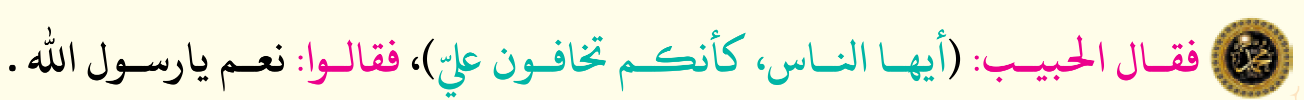
فبدأ الصحابه في السؤال بهلع: مـاذا أحـل برسـول الله ﷺ.. مـاذا أحل برسـول الله ﷺ. فتجمـع النـاس في المسـجد وامتـلأ وتزاحـم النـاس عليـه. وبـدأ العـرق يتصبـب مـن الحبيـب ﷺ بغـزارة، **فقالـت السـيدة عائشـة:** لـم أر في حيـاتي أحـدًا يتصبـب عرقـًا هكـذا، فكنـت آخـذ بيـد النـبي ﷺ وأمسـح بهـا وجهـه، لأن يـد النـبي ﷺ أكـرم وأطيب مـن يـدي. فأسـمعه يقـول: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِنَّ لِلْمَـوْتِ لَسَـكَرَاتٍ) .



قبل خمسة أيام من وفاة الحبيب ﷺ

كثر اللغط (أي الحديث) في المسجد إشفاقًا علي الرسول ﷺ فقال الحبيب ﷺ:(ما هذا ؟) .

فقالوا: يارسول الله، يخافون عليك . فقال ﷺ: (احملوني إليهم) . فأراد أن يقوم فما استطاع، وأشتد الوجع بالحبيب ﷺ وأغمى فقال ﷺ: هريقوا عليَّ سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم، فصبوا عليه الماء فلما أحس بخفة دخل المسجد متعطفًا ملحفه على منكبيه وصعد إلي المنبر.. فخطب فى الناس فكانت آخر خطبه لرسول الله ﷺ و آخر كلمات له.


فقال الحبيب: (أيها الناس، كأنكم تخافون عليّ)، فقالوا: نعم يارسول الله .

فقال:(أيها الناس، موعدكم معي ليس الدنيا، موعدكم معي عند الحوض، والله لكأني أنظر إليه من مقامي هذا. أيها الناس، والله ما الفقرأخشي عليكم، ولكني أخشي عليكم الدنيا أن تنافسوها كما تنافسها الذين من قبلكم، فتهلككم كما أهلكتهم) .





ثم قال: (أيها الناس ، الصَّلاةَ الصَّلاةَ اتَّقُوا اللّهَ فِيمَا ملكت أَيْمَانكُم).



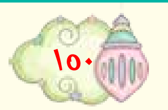
ثم قال : (إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ) فلم يفهم أحد قصده من هذه الجمله، الوحيد الذي فهم هذه الجمله هو أبوبكر فانفجر بالبكاء وعلا نحيبه، ووقف وقاطع النبي ﷺ وقال: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا ، وظل يرددها ..

فنظر الناس إلي أبي بكر، كيف يقاطع النبي ﷺ؟! فأخذ الحبيب ﷺ يدافع عن أبي بكر قائلًا:(أيها الناس، دعوا أبا بكر، فما منكم من أحد كان له عندنا من فضل إلا كافأناه به، إلا أبا بكر لم أستطع مكافأته، فتركت مكافأته إلى الله) وقال ﷺ: (إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، إِلاَّ خُلَّةَ الإِسْلاَمِ ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِى الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلاَّ خَوْخَةُ أَبِى بَكْرٍ)[١].

وقبل نزوله ﷺ من المنبر دعا للمسلمين، فقال:

آواكم الله، حفظكم الله، نصركم الله، ثبتكم الله، أيدكم الله .

(١) متفق عليه: رواه البخاري، ومسلم.



وآخر كلمة قالها ﷺ كانت موجهة للأمة من على منبره قبل نزوله:

أيها الناس، أقرأوا مني السلام كل من تبعني من أمتي إلى يوم القيامة.

قبل وفاة الحبيب ﷺ بثلاثة أيام:

عَـنْ جَابِـرِ بْـنِ عَبْـدِ اللهِ الأَنْصَـارِيِّ قَـالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَبْـلَ مَوْتِـهِ بِثَلاَثَـةِ أَيَّـامٍ يَقُـولُ: (لاَ يَمُوتَـنَّ أَحَدُكُـمْ إِلاَّ وَهُـوَ يُحْسِـنُ الظَّـنَّ بِـاللهِ ﷻ) [رواه مسلم: ٢٨٧٧].

قبل يوم أو يومين:

ويـوم السـبت أو الأحـد وجـد الحبيـب ﷺ في نفسـه خفـة فخـرج بـين رجلـين لصلاة الظهـر وأبـو بكـر يصـلي بالنـاس فلمـا رآه أبـو بكـر ذهـب ليتأخـر فأومـأ إليـه بـألا يتأخـر وقـال ﷺ أجلسـانى إلى جنبـه فأجلسـاه عـن يسـار أبى بكـر فـكان أبـو بكـر يقتـدى بصـلاة رسـول الله ﷺ ويسـمع النـاس التكبـير.

قبل يوم :

وقبل يوم من الوفاة : يوم الأحد أعتق النبي ﷺ غلمانه وتصدق بستة أو سبعة دنانير كانت عنده ووهب للمسلمين أسلحته وفى الليل استعارت عائشة الزيت للمصباح من جارتها، وكانت دِرْعُهُ ﷺ مَرْهُونَةً عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلاَثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ[1] .



وبينما المسلمون فى صلاة الفجر من يوم الإثنين وأبو بكر يصلى بهم وإذ برسول الله ﷺ كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم فى صفوف الصلاة، ليرى ثمرة جهاده وصبره فألقى على أصحابه الذين أحبهم وأحبوه نظرة وداع ثم تبسم وكانت آخر ابتسامة ابتسمها الحبيب ﷺ .

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري ومسلم.

وَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ لَهُ الصَّفَّ فَظَنَّ أن رسول الله ﷺ قد عوفى من مرضه ويُرِيدُ الْخُرُوجَ إلى الصلاة، فقال أنس ﵁: وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِى صَلاَتِهِمْ فرحًا برسول الله ﷺ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بيده أن أَتِمُّوا صَلاَتَكُمْ ثم دخل الحجرة وَأَرْخَى السِّتْرَ [(١)]. ولم تأتِ على الحبيب ﷺ صلاة أخرى .

ولما ارتفع الضحى دعا الحبيب ﷺ فاطمة، فلما دخلت عليه بكت، لأن النبي ﷺ لم يستطع القيام، فكان يقبلها بين عينيها كلما جاءت إليه فقال النبي ﷺ: (إدني مني يا فاطمة)، فحدثها النبي ﷺ في أذنها، فبكت أكثر. فلما بكت قال لها النبي ﷺ: (إدني مني يا فاطمة) فحدثها مره أخرى في أذنها، فضحكت.

قالت عائشة: فسألنا عن ذلك أى فيما بعد، فقالت: سارَّني النبى ﷺ أنه يقبض فى وجعه الذى توفى فيه فبكيت، ثم سارَّني فأخبرنى أنى أول أهله يتبعه فضحكت .

ودعا الحسن والحسين فقبلهما وأوصى بهما خيرًا ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن .

وبدأ الاحتضار فأسندته عائشة إليها ودخل عليه عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده سواك فنظر إليه الحبيب ﷺ ولكنه لم يستطع أن يطلبه من شدة مرضه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري، ومسلم.

ففهمت السيدة عائشة من نظرة النبي ﷺ، فقالت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم فتناولته فاشتد عليه فقالت له ﷺ: ألينه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته حتى يكون طريًا عليه فقالت: كان آخر شئ دخل جوف النبي ﷺ هو ريقي، فكان من فضل الله علي أن جمع بين ريقي وريق النبي ﷺ قبل موته .

وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح به فى وجهه ويقول: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكَرَاتٍ) وما عدا أن فرغ من السواك حتى رفع يده أو أصبعه وشخص ببصره نحو السقف وتحركت شفتاه فأصغت إليه عائشة وهو يقول: (مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللّٰهُمَّ اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى اللّٰهُمَّ الرفيق الأعلى) كرر الكلمة الأخيرة ثلاثًا تقول السيده عائشه: فعرفت أنه يخير.

تقول السيده عائشه: فسقطت يد النبي ﷺ وثقلت رأسه في صدري، فعرفت أنه قد مات... فلم أدرِ ما أفعل؟! فما كان مني غير أن خرجت من حجرتي وفتحت بابي الذي يطل علي الرجال في المسجد، وأقول:

مات رسول الله، مات رسول الله . تقول: فانفجر المسجد بالبكاء.

فهذا علي بن أبي طالب ﵁ أقعد، وهذا عثمان بن عفان ﵁ كالصبي يؤخذ بيده يمني ويسري وهذا عمربن الخطاب ﵁ يرفع سيفه ويقول: من قال أنه قد مات قطعت رأسه، إنه ذهب للقاء ربه كما ذهب موسي للقاء ربه وسيعود ويقتل من قال أنه قد مات. أما أثبت الناس فكان أبوبكر الصديق ﵁ دخل علي النبي ﷺ واحتضنه وقال:

وآآآ خليلاه، وآآآصفياه، وآآآ حبيباه، وآآآ نبياه .

وقبل النبي ﷺ وقال: طبت حيًا وطبت ميتًا يا رسول الله.

ثم خرج يقول: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ... ويسقط السيف من يد عمر بن الخطاب ﵁، يقول: فعرفت أنه قد مات... ويقول: فخرجت أجري أبحث عن مكان أجلس فيه وحدي لأبكي وحدي...

ودفن الحبيب ﷺ، والسيده فاطمه تقول:

أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ التُّرَابَ ؟ ...

ووقفت تنعي النبي ﷺ وتقول: يَا أَبَتَاهْ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ [١].

وقع هذا الحادث حين اشتدت الضحى من يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ وقد تم له ﷺ ثلاث وستون سنة وزادت أربعة أيام.

وبدأ المسلمون يسيرون في طرقات المدينة يتذكرون أيامهم مع الحبيب ﷺ ...

ويرون أحاديثه ويتذكرون توجيهاته العظيمة، وينتظرون يوم القيامة ليشربوا من حوضه الشريف ويتمتعوا بشفاعته العظمى ...

وهكذا مات الحبيب ﷺ ولكن سُنته باقية إلى يوم القيامة؛ وستبقى سيرته دماءً حيةً تنبض في العروق؛ وتحيا بها القلوب؛ وستبقى لترسم لنا جميعًا منهج حياة طيبة؛ يسعد بها المسلم في الدنيا والآخرة، بشرط أن يتعايش مع سيرته وسُنته بقلبه وجوارحه.

---

(١) صحيح: رواه البخاري.

لقد عانى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته كلها الكثير من المتاعب والمشاق وما ذلك إلا لحبه لك، ولأنه يريد لك السعادة في الدنيا والآخرة .

فمن أجلك .. قام يدعو ليلًا نهارًا فما استراح ساعة وما ركن يوم عن دعوته .

ومن أجلك.. رمي بالجنون وبالسحر والكهانة وبأنه يفرق بين الرجل وزوجه .

ومن أجلك.. قذفه أهل الطائف بأبشع السباب ورماه أطفالها بالحجارة .

ومن أجلك.. وقع في حفرة يوم أحد وكسرت رباعيته وأصيب في رأسه.

ومن أجلك.. رمي في عرضه الشريف من المنافقين .

ومن أجلك .. ما شبع يومًا ، وما استراح قط .

آلاف المواقف وعشرات القصص تحكي كم ضحى الحبيب ﷺ من أجل أمته ابتلى.. وأهين.. وأصيب.. فما رده ذلك عن دعوته شبرًا.

كل ذلك لأنه يحب أمته ويبغى لها الخير، فهل أحببناه كما أحبنا ؟

الدروس المستفادة من المرحلة الأخيرة في حياة الحبيب ﷺ:

١- أن الله ﷻ أرسل رسله لمهمة محددة وهي **هداية الناس إلى توحيد الله رب العالمين**، فإذا بلغوا ما أرسلوا به، فقد أدوا ما عليهم، ويبقى المصير والمرجع إلى الله، الذي سيجازي عباده على أفعالهم .

٢- ختم النبي ﷺ حياته **بمضاعفة الطاعات** فقد اعتكف في العام الذي توفي فيه عشرين يومًا، وقرأ القرآن مع جبريل عليه السلام مرتين.

٣- حرص النبي الله ﷺ على **أداء الصلاة في المسجد رغم ما به من مرض**؛ فكان يتحامل على الصحابة حتى يصلي معهم، ولا يتخلف عن المسجد إلا بعد أن ثقل عليه المرض بحيث لا تستطيع أن تحمله قدماه.

٤- أوصى النبي ﷺ **بالنساء خيرًا**، فلم ينس ﷺ: تضحياتهن في سبيل إعلاء كلمة التوحيد كأمثال السيدة خديجة، وعائشة، وسمية، وأم سلمة، وغيرهن.

٥- حرص النبي ﷺ قبل الوفاة على **الصدقة** فيما أشار إلى السيدة عائشة رضي الله عنها أن تتصدق بالمال.

٦- حـرص النـبي ﷺ على تطبيـق السـنة، فـكان يأخـذ السـواك ويضعـه في فمـه، لأنـه علـم أن ذلـك يـرضى الله ﷻ .

وأن رسول الله ﷺ خير ما بين الدنيا والآخرة فاختار ما عند الله، لأنه علم أن الدنيا متاعها قليل، وأن السعادة الحقيقية في الدار الآخرة والنظر إلى وجه رب العالمين.

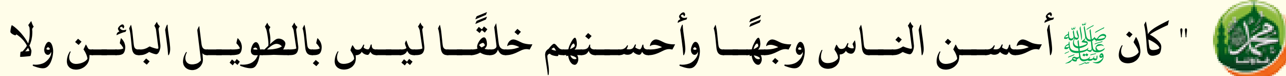
في طريقك لاتباع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وللحصول على محبته لابد لك من معينات ثلاث:

١- العلم : والمعرفة بخلق النبي ﷺ وسيرته وجهاده وحبه للخير وبذله لروحه وماله وجهده كله في سبيل الإسلام ... فلن تتحسن نية بلا معرفة وبلا علم .

٢- العمل: ويأتي بعد المعرفة عمل ... فلا قيمة أن تتعلم خلق النبي ﷺ ثم تأتي غيره، أو تعلم منهجه ثم تهمله أو تعلم سنته ولا تأتيها.

وبالعمل تتحقق النجاة للمسلم .

٣- الصحبة: ولاستمرارك على طريق الله وحب رسوله ﷺ لابد لك من صحبة، إذا نسيت الله ذكرك ، وإذا ذكرت الله أعانك .




" كان ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير" [رواه البخاري].


" كان ﷺ أبيض مليح الوجه " [رواه مسلم].


" كان ﷺ وجهه مثل الشمس والقمر وكان مستديرًا "[رواه مسلم].


" كان ﷺ إذا سرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر" [متفق عليه].


" كان ﷺ أشكل العينين" [رواه مسلم]. أشكل العينين : في بياض عينيه حمرة

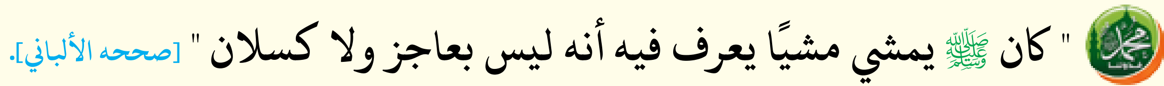

" كان ﷺ شديد سواد الشعر أكحل العينين إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة " [صححه الألباني].


" كان ﷺ مربوعًا بعيد ما بين المنكبين له شعر يبلغ شحمة أذنيه " [رواه البخاري].


" كان ﷺ ضخم الرأس واليدين والقدمين " [رواه البخاري].






" كان ﷺ يمشي مشيًا يعرف فيه أنه ليس بعاجز ولا كسلان " [صححه الألباني].



" كان ﷺ إذا مشى لم يلتفت" [صححه الألباني].


" كان ﷺ يُعرف بريح الطيب إذا أقبل" [صححه الألباني].


" كان ﷺ لا يضحك إلا تبسمًا" [صححه الألباني].


" كان ﷺ كلامه يفهمه كل من سمعه "[صححه الألباني].


" كان ﷺ خلقه القرآن" [رواه مسلم].


" كان ﷺ أحسن الناس خلقًا" [متفق عليه].


" كان ﷺ يجلس على الأرض ويأكل عليها "[صححه الألباني].


" كان ﷺ أرحم الناس بالصبيان والعيال "[رواه مسلم].


" كان ﷺ يمر بالصبيان فيسلم عليهم" [متفق عليه].


" كان ﷺ رحيمًا ولا يأتيه أحد إلا وعده وأنجز له " [صححه الألباني].

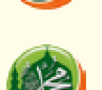
 " كان ﷺ لا يأنـف ولا يسـتكبر أن يمـشي مـع الأرملـة والمسـكين والعبـد حـتى يقـضي له حاجتـه " [صححـه الألبـاني].

 " كان ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس" [متفق عليه].

 " كان ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها " [متفق عليه].

 " كان ﷺ لا ينتقم لنفسه " [متفق عليه].

 " كان ﷺ يحب الحلواء والعسل" [متفق عليه].

 " كان ﷺ يعطي عطاءً لا يخشى الفقر" [رواه مسلم].



جمعنا الله وإياكم بنبينا عليه الصلاة والسلام وأسكننا الفردوس الأعلى من الجنة ورزقنا حبه واقتفاء أثره واتباع سنته وأن نحشر في زمرته.

آمين .

فهرس الكـــــتاب

